اروع ما كتب عن الصراع الدولي

اسرار السياسة الدولية في الشرق الأوسط

بقلم

جورج فرح

الطبعة الاولى

١٩٥٢

مقدمة الكتاب

لطالما تساءلت وانا في هذه الخلوة الوجدانية الواعية الشاعرة ، هذه الحالة البسيكولوجية التي يتحرر فيهـــا الانسان من ضغط الذاتية المادية واساليب تفكيرها وينطلق محلقـــاً فوق الافاق البعيدة يواجه مشكلاته ويعنى بها ويدرسها ويعالجها كجزء من جماعة وكظاهرة لبيئة حية ، تساءلت وانا في هذا الحس الانعتاقي الصوفي اتموج مع تياره اندفاعاً وانجذاباً ما اذا كان ثمة امل ؟ او حثالة من امل في ان يكون المستقبل ، قريبه ام بعيده حاملا بين طياته العوامل والاسباب التي تكفل للشعوب العربية يقظة بعـد سبات ، وانتفاضة بعد ركود وجمود ، ووثبة بعد كبـــوة ، تساءلت وانا اندفع الى اعماق هذا الخضم من التفكير ، استعرض تارة صفحات التاريخ القوي في اسطورتها الخالدة وفي امجادهـــا ومآثرها ومناقبها وبطولاتها وطوراً هذا الحاضر الذي تغمره ظلمة حالكة مؤذية مذلة ما اذا كان بقية حق للمتأمل في التفاؤل ؟ وفيما انا اقرب الى التشاؤم واليأس ، التشاؤم من حاضر امة سادهـــا الانحلال الخلقي والميوعة والتفسخ وتحكمت الذهنية النفعية الفردية العليلة في كل نهـج من مناهج نظرتها الى الحيـاة ، وتبخرت من

وهذا هو السر الذي مكن الاتحاد السوفياتي من رفع علمه فوق « الرايشتاغ » .

أجل ونعم ان في رواسب النفسية العربية ما هو « اقوى من الموت » .

للعروبة في بطن الزمان من القابليات ما يجعلها احق من روسيا نفسها بصرخة « ايليا ايرانبورغ » والعودة مجدداً الى تزعم التوجيه في المجموعة الاممية .

العرب حقيقة مادية ملموسة لهم حضارتهم ما قبل الاسلام يوم كان الليل القاتم الاسود يخيم على الغرب ولهم عزهم وسؤددهم وكيانهم وعظمتهم ما بعد الاسلام !

لن اذكرك في اليوم الذي تولى الخبراء الاميركيون انفسهم الكشف عن الحضاره العربية في الجهات النائية القصية من الصحراء وقد تم ذلك على ايدي بعثة برئاسة البروفسور فيليبس فضمت الى التاريخ القديم مدينة لا تقل روعة وفتنة وسحراً عن الفرعونية المصرية ذاتها . فتعرفنا بجهود هذا الاميركي الى القبطان وسبا وتمنه وغيرها الخ .

ثم تمر الاجيال مندفعة في طريق النمو فاذا بهذه القلة من قبائل صحراء تقوم على احد اطراف اسيا يقذفها معنى الوجود الى الخلق والانشاء بل والابداع فيأتي مع الاسلام قهر الوثنية في جزيرة العرب فهزم كسرى وقيصر والتمادي الى تجاوز البحار منها المتوسط والاطلسي ومتابعة هذه الدفعة الى ان تم لها الاستيلاء على الشمال الافريقي فامتداد الى فرنسا والتحكم مدة في مقاطعة

«بوردو» ثم التمركز طوال سبعة اجيال في اسبانيا وايجاد دولة عربية في قلب اوروبا اسمها « الاندلس » .

واما باتجاه الشرق فقد بلغ التوسع العربي الهند والصين وكانت من نتائج هذه الحقيقة الصارخة المدوية ايجاد دولة كالباكستان وزرع الاثر العربي في كل ناحية من انحاء الصين

فالى هذا الحاضر المائع الوهن السقيم الذي اخذ يتأثر بترف التفكير الغربي وخنوثته فتنشأ عن انتاجه العام من سياسي وثقافي واقتصادي تلك الرجعية الخطرة ، اريد ان اذكره بمقومات الوجود الصحيح ، فالقوة التي ضمنت لنا الانتشار شرقاً الى الصين وغرباً الى صميم اوروبا ، اريد ان اذكره بضرورة الاقلاع عن مبدأ الرضوخ الواقع المزيف الذي افتعله المكر الاستعماري والبحث عن سبل النصر التي اجملها « ايليا ابرانبورغ » في هذا الشعار السرمدي « اقوى من الموت » .

الرسول محمد غالي امجاد العرب

نعم انت اقوى من الموت واستمع الى اسطورتك عارية صريحة وضاءة ناصعة البياض .

اراد الفجر في وحشة الصحراء وظلمتها يوماً النور ، فتفجر جمودها لاول مرة عن حياة ، فارسلت « محمداً » هذا المعنى الكامل للاشراق والاشعاع والقوة .

منذ ذاك تبدل وجه الرمال بل تغير سير التاريخ واتجاه الزمن فاذا الحياة كلها تنتقل الى هامة الكثبان والوهاد والبطاح ، واذا بتلك الاقوام المبعثرة المشتتة من بني البشر . يخلق منها الرسول

الجديد وحدة متماسكة متضافرة متراصة ويجمعها كتلة متفانية حول رسالة المنطق والعدالة والانسانية والحق .

فاذا بتلك الاكوام من الهياكل البشرية التي كانت الى مـــا قبل ذلك عائقاً في سبيل الفكرة التقدمية ، تستحيل الى وجـود خلاق ، فتتكون باستحالتها هذه العظمة العربية عبر الابدية .

ولقد اصاب الفيلسوف الهولندي الشهير « كارلاي » كبد الحقيقة وفؤادها حينما اختص التحدث عن معجزة « محمد » الجـزء الاكبر من كتابه « ابطال التاريخ » ولقد اصابها ثانياً وثالثاً في صدرهـا وقلبها اذ اعلن بجرأة المفكر العميق الصريح ان « محمداً » تجـاوز المعجزة وبلغ العظمة ، فحسبه خلوداً انه خلق من الفراغ وجوداً ومن العدم قوة فاندفع من بادية ، انطلق من الخلاء الى ما وراء البحار فنفخ في الغرب دفقات مزجرة من الحياة وجاء الى الانسانية بثقافة اجهزت على الخرافة في تفكيرها وسارت بموكب الدهر في طلب الاصلاح والانشاء » .

ان قوماً هذا هو تفسيرهم بنظر قضاة الفكر لن تطالهم اصابع الفناء ولن تستدرجهم الاستعمارية الدولية الى الهاوية والقبر مهما كانت من الاحكام والبراعة في سبك الحيلة وافراغ الخدعة .

وختاماً فسبيلنا الوحيد الى هتك ستر المؤمرات والتغلب على الدسائس والعودة الى القيام بدور على المسرح العالمي هو ان نرجع دائماً الى الاستمساك بهذه العقيدة : « اقوى من الموت ! »

نعم اننا اقوى من الموت !

جورج فرح

اهمية الشرق الاوسط

في السياسة الدولية

يشكل الشرق الاوسط نقطة الثقل رحبة العقد في الصراع الدولي القائم وقد يكون الممول الرئيسي والوحي الاول لتلك السلسلة الخفية من المؤامرات التي تمثل على مسرح هذا الشق من حوض المتوسط . واما السبب في هذا المركز الممتاز الذي يحتله « اي الشرق الاوسط » من مواطن الاهتمام والعناية في السياسة الدولية فلن يعود الى كونه بقعة استراتيجية فحسب او منطقة اختارتها السياسة العسكرية للدول الكبرى في معسكريها الغربي والشرقي لخطتها الدفاعية والهجومية عند قيام حرب فيما بينها .

ان الاهمية الصحيحة للشرق الاوسط، هذه الاهمية التي اوجدت اعنف لون من الوان الصراع بين بريطانيا والولايات المتحدة من جهة وكانت السبب الفعال في شطر العالم خلال الفترة التي تلت الحرب الكونية الثانية الى غرب وشرق من جهة ثانية انما يعود لكونه اضخم خزان من الخزانات العالمية للنفط ومشتقاته .

الصراع الدولي حول البترول

ان السر العميق في تفسير العوامل لهذا النزاع الدولي البارد

الذي يهدد العالم بزجه في اتون حرب ثالثة، ليرجع للتنافس بين الدول الكبرى الاربع حول الاستيلاء على ينابيع البترول التي يذخر بها هذا الجزء من الكتف الجنوبي الغربي للقارة الاسيوية .

ولا بأس في هذه المناسبة من تلخيص ما اورده بحاثة اخصائي كبير بصدد هذا الموضوع اذ قال : « انه في سبيل نيل الامتيازات والسيطرة على موارد الزيت الوفيرة وفي حساب ذلك تمت وتتم الاتفاقات العلنية والسريه والاخيرة اكثر واخطر ، بين الدول والهيئات التي يعنيها الامر دون ان يكون لاصحابه واهله صوت مسموع وفي ارجائه تحاك الدسائس وتدبر المؤامرت ويشيع جو من السرية والغموض يحيط باعمال وكلاء الشركات وبعثاتها البريئة المظهر واعمالها ومصانعها فاذا اقتربت من مدينة « بترولية » شعرت انك موضع الارتياب وتحس وكأنك في وسط غريب وبيئة غير مألوفة وهو نقطة الخطر في السياسات الاستعمارية ومطامعها وموضع المنافسات والخلافات بين الدول ومصنع البارود الذي قد يتفجر يوماً من الايام فاذا بالعالم وقد انغمر في حرب ثالثة » .

هذا ما قاله بحاثة مدقق معروف الدكتور B.A Houn صاحب العديد من المؤلفات حول قضايا البترول والانتشارات الاستعمارية

لماذا قامت اسرائيل ؟

ثمة حقيقة اخرى لا مندوحة عن ايرادها في هذه المناسبة تهم كل ذي تفكير سليم ورغبة في الاطلاع على مصادر التوجيه في

السياسة الدولية هو ان قيام اسرائيل الذي قامر الغرب في سبيل فرضها بالصداقة العربية انما يعلل الى حد بعيد بمؤامرة بين الشركات البترولية وقادة سفينة الاستعمار لعالم ما بعد الحرب الثانية .

ولا شك في ان مصير فلسطين على هذا النحو الذي آلت اليه اسبابه السياسية من الوجهين الخارجي والاقليمي ، وكل هذه العوامل نفسها تزول قيمتها كعلة اساسية فيما كتب من كوارث على هذا القطر العربي حينما نعرف ان السيد الخفي المستتر المهيمن عملياً على مقود سياسة الولايات المتحدة هي التسعة عشرة شركة التي جمعها التهادن في حرب المصالح والمنافسات واطلقت على نفسها اسم اتحاد نقابات البترول وليتصور القارىء او السامع ان هذا التنظيم النقابي الصوري يمثل اكبر قوة مالية في العالم الجديد ولليهودية العالمية فيه ما يقرب من السبعين بالمئة من مجموع رأس المال

ضغط الرأسمالية البترولية

واما البيت الابيض في واشنطن والى جانبه نظارة الخارجية فقد سيقا سوقاً لتبني مشروع اقامة دولة لليهود في قلب العالم العربي ذلك ان الرأسمالية البترولية اليهودية التي تحرص بشدة على حماية مصالحها وتخشى الطوارىء وتعمل الف حساب لانتفاضة قومية شاملة في العالم العربي ولتحول مفاجىء في السياسة البريطانية رأت ان لا سبيل لها للالتفاف مقدماً على كل حدث من هذا النوع قد يجد في المستقبل الا في فرض « بوليس » امين يضمن سلامة مرفأ حيفا الذي يعد من اهم مصباتها على حوض المتوسط

فالى ذلك ترد العوامل العميقة في خلق دولة لليهود . ومن اجدر واحق من اليهود للائتمان وصيانة السبعين بالمئة من رأس المال البترولي العالمي ، اي الاكثرية الساحقة لاسهم نقابات شركات البترول في اميركا الشمالية .

اذن نستطيع القول بضمير مرتاح ومنطق قويم ان هي الا البوليس المولج بالدفاع عن سلامة هذا المصب الرئيسي على ضفاف المتوسط للبترول الذي اسميناه مرفأ حيفا .

ابو منيك فليفة لورانس

وليست اسرائيل هي الشرطة الوحيدة التي استحدثتها الضرورات البترولية وفرضتها دولة على الشرق الاوسط ، بل ان هنالك دولة اخرى تقدمتها في السن ، قيل في مصادر نشأتها اشياء واشياء ولم ير المتقولون والمعللون الا الناحية السياسية في وجههم مع ان الواقع المبطن ، المحكم التغليف يختلف عن هذا التفسير اختلافاً كبيراً وجد بعيد . فلو رجعنا باناة وتؤدة الى اليوم الذي اسس فيه المستر ونستون تشرشل الذي كان حينذاك وزيراً للمستعمرات البريطانية بالاشتراك مع لورانس امارة الاردن التي بترت من الضلع الفلسطيني لاتضح امام ناظرينا ان السر في ذلك يعود الى رغبة « الامبريالزم » البترولي البريطاني في التمهيد لخليفة لورانس (كلوب باشا) الملقب (بابي حنيك » في انشاء بوليس للبادية من البدو انفسهم مهمته حماية انابيب اسالة الزيت

الممتدة عبر الصحراء من ينابيعها في كركوك والموصل الى موانىء البحر الابيض .

ولا نريد هنا ان نرسل الرأي على عواهنه وعلاته فلو نحن لفتنا الى ما قبل اعوام قليلة ، اي الى اليوم الذي بني فيه خط « ايدن » الممتد من الشمال الفلسطيني الي الاردن لثبت لنا ان مهمته الحربية كانت في الاساس ، بالاضافة الى بعض وظائفه الاستراتيجية الفرنسية ، حماية طلائع الجيش الاردني الملقب بالفيلق العربي الذي كان عليه ان يؤمن سلامه انابيب البترول والدفاع عنها في حالة توغل قوات المارشال روميل وبلوغها هذا الجزء من الجهاز العربي .

الميثاق الثلاثي

بين بريطانيا وفرنسا وتركيا

ان الميثاق الثلاثي الذي ضم بريطانيا وفرنسا وتركيا عام ١٩٣٩ وان الحياد التركي نفسه طوال مدة الحرب الاخيرة لم يكنا في الواقع الا بدعة من بدع التمويه لتنظيم الدفاع عن انابيب البترول في الصحراء العربية ضد كل مفاجأة هجومية « جرمانية » تندفع من البحر الاسود .

ولا خير هنا فيما لو اردنا هذا الوصف المختصر ولكنه على اقتضابه لا يخلو من الروعة لاحد المعنيين في تفسير الاحداث السياسية على اساس بترولي فقال :

« ان شركات البترول اضحت دولة داخل دولة وهي متشابكة

بالدول الاخرى وان كانت منفصلة عنها ، اذ لها ادارتها الخاصة بها واسطولها الجوي ، وجيشها الصغير ، اننا لا نجد لها ذكراً كدولة في كتاب الامم ولكنها حقيقة لها وجود وكيان وترسل بعثاتها الى الاراضي غير المعروفة وغير المطروقة

وقد يختلف اهل الشرق مع الحكومات الاستعمارية وقد يثيرون مواضع الخلاف بشأن اواخر ولكن هناك استعماراً اشد دهاء واعظم خطراً يتمثل في شركات البترول ذات الاسماء المختلفة او الدول الصغيرة مظهراً والعظيمة القوة مخبراً وجوهراً ، فهي التي تسيطر على اقتصاديات البلاد وهي التي توجه الى حد ليس باليسير سياسة الحكومات الاستعمارية واتجاهاتها وهي التي يمكن ان يقال فيها انها السبب في الاستمرار الاستعماري وتغذيته لهذه الحقبة من القرن العشرين .

عفواً ! لقد قطعنا شوطاً واسعاً في الاستطراد وبلغنا حد التمادي في ايضاح الزحفة الاستعمارية الجديدة كنتيجة لزامية لجشع ومطامع ملوك البترول، هؤلاء الملوك غير المتوجين لكنهم مع ذلك هم الذين يحتكرون صناعة الملوك والتيجان والصولجانات .

بترول الشرق الاوسط

يعتبر الشرق الاوسط من حيث اهميته كمنتج للبترول المنطقة الثانية في العالم . ففي ايران تتركز الحقول الرئيسية الكبيرة عند سفوح جبال « زاجروس » على هيئة قوس قطره ١٨٠ ميلا يبدأ من جزيرة عبادان حيث يصب شط العرب في الخليج الفارسي وكان يتولى فيما مضى استغلال هذه المنابع « شركة البترول

الانكليزية الايرانية » وفي الطرف الشمالي الغربي تتـــولى الامر شركة الكويت وتتقاسم رأسمالهـا شركة البترول الانكليزية الايرانية وشركة الخليج الاميركية ، والى الجنـوب من امارة الكويت تقع حقول الزيت فى المملكة العربيـة السعودية وهي امتياز شركة البترول العربية السعودية ، المعروفة اختصاراً باسم « ارامكو » ويشمل الامتياز الممنوح لها مساحة قدرها ٤٤٠٠٠٠ من الاميال المربعة وان كانت الابار الرئيسية القائمة بالانتاج فعلا تقع بجوار الخليج الفارسي

وفيما يلي لائحة تعتمد على الاحصاء في انتـــاج كل من تلك الاعشاش البترولية التي امتزجت الى الابد بمستقبل ومصـــير وصيرورة الشرق الاوسط في مختلف تقاسيمه وكياناته السياسية :

المملكة	المكان	الانتاج اليومي بالبراميل
ايران	عبادان	٤٩٥٠٠٠
ايران	كرمنشاه	٢،٩٠٠
البحرين	البحرين	١٤٥،٠٠٠
السعودية العربية	رأس تنوره	١٢٥،٠٠٠
فلسطين	حيفا (معطلة مؤقتاً)	٩٠،٠٠٠
العراق	خانكين	٦،٩٠٠
لبنان	طرابلس	٥،٠٠٠

وفيما يتعلق « بالظهراني » المصب الجديـد الذي انشأته شركة التابلاين فليس بوسعنا الى الان ان نتقدم بتقدير تقريبي عن انتاجه اذ انه حديث عهد قد ولد بمولد اسرائيل ! .

الشرق الاوسط

عبر المؤامرات الدولية

ليس من المنطق القويم والتفكير المسالم الشامل ان نرد ما يتبلور ويتجسد من احداث وحوادث على مسرح الحياة العامة في الشرق الاوسط الى العامل البترولي فحسب ، فهنالك العامل السياسي الصرف ، والعنصر الاقتصادي العام وارتفاع الوعي الثقافي والدفعة التقدمية الاجتماعية ، هنالك طائفة من الاسباب في قيام هذه الظاهرات المختلفة ، ولكننا مع ذلك نرانا نساق سوقاً الى جعل « الواقع النفطي » اساس كل تفسير لهذه الارتجاجة العميقة التي تتحكم في الاوضاع العامة لتلك المنطقة منذ اليوم الذي اثبتت فيه الابحاث العلمية والفنية ان لا امل للعالم الغربي في تحقيق غاياته التطورية ومطامعه من توسعية واستعمارية الا في الاعتماد على الدفين من معدن السائل الاسود في بطن الارض العربية وما حولها من امتدادات تشكل في مجموعها الشرق الاوسط

ان ما نشاهده اليوم من اضطراب واهتزاز يتسلطان على مقود مقدرات هذه البقعة في حقولها وميادينها المتباينة لتلك المرحلة التي عقبت الحرب العالمية الثانية ، ان هذا الذي نلمس من ازدياد غريب

يدعو الى الدهشة ويحمل على التأمل الطويل في النشاط الدبلوماسي بوجه عام والانكلو الاميركي منه خاصة ، ان ما يقال عن تعاون بين رصيد حلفاء الحرب الاخيرة للدفاع عن الامن الدولي والسلامة الجماعية ، واقرار الاستقرار في ربوع لم تجد وتسعى يوما الى نزاع وحرب ، ان ما يتحدثون عن عمل مشترك بين الدولتين الانكلو سكسونيتين لمعالجة ادوائنا ومساعدتنا كجزء من هذا العالم الذي حكم عليه بالتخلف والتأخر ليس هو في العمق والصحيح الا مجرد ظاهرة مفتعلة ، ظاهرة كاذبة مخاتلة تفح منها رائحة الخدعة والرياء لجوهر حقيقة ثابتة عتيقة كالدهر .

لنستعرض ونحن في سياق هذا البحث البعض من تلك الشواهد والدلائل والوقائع .

البترول سبب التنافس الدولي

ان انتشار الشركات البترولية قديمها وحديثها من «اي بي سي» وانكلو ايرانيان الى ارامكو وتابلاين في صحاري الشرق الاوسط ان هي الا مولدة واولى تلك المصادر للتنافس والصراع الخفيين بين هاتين الدولتين وان تعاونها الشكلي لاقرار الاستقرار : على ضفاف آمنة مطمئنة ومسالمة ليس هو الا خرافة وخرافة هزيلة مفضوحة اللهم الا ما اتصل بهذا التعاون من مضاعفة توطئات الامعان في الامتثال السري لدعم مصالح ووجود ونفوذ كل من الشركات البترولية المذكورة .

ان التألب الانكلو سكسوني هو النتيجة الايجابية لهذا الصراع

الخفي ، على اخراج فرنسا من سوريا ولبنان ومنذ انهيار « فيشي » الى اليوم الذي تم فيه اجلاء الفلول « الديغولية » عن هذا الحوض من شرقي المتوسط كان وليد التناحر المستتر بين معسكري الجبهة الانكلو سكسونية لشركات البترول .

لذلك نرانا نساق سوقاً كما اسلفنا في مطلـــع هذا الفصل الى تعليل كل ظاهرة من ظاهرات وميزات الوضع السياسي العام في الشرق الاوسط للعامل البترولي اي للنزاع المقنع القائم بين شركات النفط الانكليزية والاميركية .

في هذا التفسير يستطيع المتتبع بدقة لتطورات قضية بلاده من ملابسات ان يخلع النقاب عن اسرار قصة اقتسام مناطق النفـوذ في الشرق الاوسط .

ليس بوسعنا مهما قيل حول هذا الموضوع الا ان نرى في بترول الشرق الاوسط وما يدور حول امتلاكه واحتكار استخراجـه واستثماره من الوان المنازعات هذا السبب الاولي فيما عشنا ونعيش من احداث السياسة ماضيها وحاضرها ومن دوافع الاستمرار في التهافت على اقتسامات مناطق ينابيعه تحت ستار « الدفـــاع » والاستراتجية والمراكز الحربية ومـــا الى ذلك من مسميات ومبررات .

معاهدة سيكس بيكو السرية

لنستمع ولو اضطررنا في هذا السبيـــل الى الاستطراد لهذه الرواية التي لهـــا صلاتها الوثيقة بمعاهدة سيكس بيكو ، المعاهدة

السرية التي وقعت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا عام ١٩١٦ وفضحت خفاياها هذه الاخيرة عقيب انهيار القيصرية فيها ونشوب ثورتها الشيوعية ، لنستمع الى هذه الرواية الطريفة الظريفة لعلها تساعدنا على القاء ضوء نتبين عن طريقه بداية الزحف الاميركي الى الشرق الاوسط وبداية التنافس الانكلو سكسوني الذي لم يكن الا نتيجة للتحولات التي طرأت على معاهدة سيكس بيكو بطبيعة تطورات الظرف الحربي والسياسي حينذاك ، هذه المعاهدة التي ما زالت اساس جغرافية اقتسام البلدان المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية .

لنستمع اليها وليحكم العاقل منا فيما بعد .

اميركا تستوضح انكلترا

في احد ايام ١٩١٩ اي في هذا اليوم الذي تحر فيه النصر للحلفاء ، عقد مجلس الشيوخ الاميركي اجتماعاً وارسل في اختتامه الى البيت الابيض مستوضحاً عن القيود المفروضة على الرعايا الاميركيين الذين ينقبون عن النفط في المناطق المشمولة بالانتداب البريطاني وجاء هذا الاستيضاح نتيجة لاقدام السلطات العسكرية البريطانية على اعتقال احد الخبراء الاميركيين الذي كان ينقب عن النفط بالقرب من البحر الميت في فلسطين .

فلم يكن من سفير الولايات المتحدة لدى بلاط سان جيمس في ذاك الحين تنفيذاً لتعليمات حكومة واشنطن الا ان بعث بمذكرة شديدة اللهجة الى الكونت « كيرزون » وزير الخارجية البريطانية

يتهم فيها بريطانيا صراحة بانها تدرج على سياسة تكفل لها دون سواها من الدول المتحالفة احتكار استخراج البترول في البلدان الخاضعة لنفوذها من شواطىء الشرق الادنى وصحاريه .

فتلقت الحكومة الانكليزية هذه المذكرة ببرودتها المعتادة وقابلتها بصمتها الطويل المصطنع .

اميركا تريد انكلترا

الا ان حكومة الولايات المتحدة التي اقتنعت تمام الاقتناع ان حليفتها بريطانيا تواصل السير على خطة سوف تؤمن لها ولشركاتها وضع يدهما على منابع النفط في الشرق الاوسط ارسلت للمرة الثانية بالرغم من « الصمت الانكليزي » المفتعل بمذكرة جديدة الى الكونت كيرزون (وزير خارجية انكلترا حينذاك) تطلب فيها بحزم لا يخلو من التهديد المبطن ضرورة الاقلاع عن هذا النهج الاحتكاري واتباع سياسة الباب المفتوح فيما يتعلق بالقضايا البترولية واشراكها (اي اميركا) في جميع المباحثات والمفاوضات التي تتناول شؤون امتيازات التنقيب عن النفط واستخراجه وكانت هذه المذكرة مؤرخة في الثاني عشر من شهر ايار عام ٩٢٠

فلم يكن من الحكومة البريطانية في ذاك الوقت ، وهذا تمشيا مع خططها الالتفافية ومداورات دبلوماسيتها ، الا ان قدمت الى الجواب على هذه المذكرة بنشر المادة السابقة من اتفاق « سان ريمو » التي تنص على منح فرنسا ٢٥ بالمئة من صافي انتاج البترول الخام في الجزيرة العربية وذلك في حالة تولي الحكومة البريطانية

نفسها عمليات استخراجه وتنص على منحها من جهة ثانية ٢٥ بالمئة من مجموع الاسهم فيما اذا اعطي امتياز استخراج النفط لشركة خاصة .

واما الغاية التي هدفت اليها بريطانيا من نشر هذا البند التابع لمعاهدة سان ريمو هي زج فرنسا كطرف ثالث في بداية هـذا العراك البترولي الانكلو اميركي والتستر خلفها لنفي تهمة احتكار التنقيب واستخراج البترول في البلدان المشمولة بنفوذها .

انكلترا تقرر بامبرطا

وبعد ذلك اجابت بمذكرة اولى على الانذار الاميركي السالف الذكر بان الخطوط الحديدية والارصفة التي تقيمهـا في العراق والاطراف القصية من البادية السورية انما تقام بوحي المصلحـة العسكرية وحدها واما الجهود المبذولة في التنقيب عن النفط لا تعدو كونها محاولات محدودة للحصول على رواسب من النفط لحالح الدولة العربية المزمع انشاؤها طبقا للترتيبات الواردة في معاهـدة « سيفر » المعقودة مع تركيا وفي نصوص صك الانتداب المنبثق عن ميثاق عصبة الامم .

غير ان الولايات المتحدة لم تؤخذ في هذه المرة بهذا النوع من الايهام البريطاني وما ينطوي عليه من مخدرات بل اخذت تزيد في ضغطها مطالبة بسياسة الباب المفتوح مما اضطر حكومة لندن لرفع النقاب عن وجهها والنزول سافرة الى الميدان فاعقب اللورد كيرزون في الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٩٢١ مذكرته الاولى بثانية

ضمنها القول بأن بريطانيا ليس في نيتها احتكار حقول البترول في الشرق الادنى احتراما منها لاحكام معاهدة سان ريمو ولكنها اذا ما فعلت ذلك فللامر مبرراتـه ومسوغاته اذ ان وزارة المـــال التركية تنفيذا لاوامر الباب العالي في استانبول ابلغت السفـــير البريطاني في الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩١٤ انها قبلت تأجير حقول البترول في ولايتي الموصل وبغداد الى شركة النفط التركية وهي تعترف بموجب هذا البلاغ بانتقال المصالح التي كانت لالمانيا في هذه الشركة الى الحكومة البريطانية .

الا ان الاسلوب البريطاني هذا لم ينفع ايضاً في التلطيف من الضغط الاميركي وكادت الامور تتطور الى نزاع مكشوف بين البلدين لو لم تبادر «لندن» الى ارسال احد دهاتها الكبار السرجون كادمان » المستشار الفني لشركة الزيت الانكليزية الفارسية الى واشنطن لانقاذ الموقف وايجاد مخرج لهذا المأزق الخطر الذي هدر روابط الاخوة والدم بين الدولتين الانكلو سكسونيتين بالانهيار

تقاسم الشركات الانكليزية والاميركية

وقد افضت الجهود التي بذلها هذا الوسيط البارع في العقـــد الاخير من عام ١٩٢٢ الى اعادة التفاهم بينهما وتنازلت بريطانيـا مقابل ذلك لشركة ستانداردأويل عن نصف الاسهم التي تملكهـا في شركة البترول التركية الانكليزية . ولا بأس في هذه المناسبة من التقدم ببعض المعلومات عن نشأة شركة البترول التركية التي سبقت الاشارة اليها .

لقد انتهى النزاع السياسي الذي قـــام بين الامبراطوريتين العثمانية والفارسية حول المنطقة البترولية الواقعة بين حدود البلدين بان اللجنة التحكيمية التي كلفت ايجاد تسوية لهـذا الخلاف قضت على حكومة فاوس (ايران حالياً) بالتنازل لصالح الدولة العثمانية عن قسم من حقول النفط الواقعة في منطقة الحدود وذلك في شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٣ وكان السبب في اتمـام هذه الصفقة لصالح تركيا بضغط من شركة سكة حديد بغداد التي منحت عام ١٩٠٢ امتياز التنقيب عن البترول في شمالي الجزيرة .

عبد الحميد والبترول

ومنـذ ذاك اخذ السلطان عبد الحميد يفكر بجـد في استغلال موارد البترول الدفينة في جنوبي اقليم الجزيرة فاتجه الى تأسيس شركة بترول تركية وعرض على بنك تركيا الوطني تمويـل هذا المشروع فاعتذر بحجة عدم توفر المال الذي يمكنه من تعهد تحقيق هذه الفكرة فلم يكن من السلطان العثماني الا ان يمم وجهـه شطر رجال المال والاعمال في انكلترا فدارت مفاوضات بين مندوبيه وبين رجل الاعمال المشهور المستر «ارنست كاستل» الالماني الاصل والانكليزي التبعة فرحب في العرض العثماني ورأى فية فرصـــة للتقريب بين المانيا وانكلترا اذ اشترط ان يشرك بنك المانيا في تأسيس شركة النفط التركية المزمع انشاؤها بمقدار نصف الاسهم فـكان للتطورات التي اتخذها هذا المشروع رد فعـــل سلبي في الاوساط التركية الوطنية المتطرفة بحجة ان محاولة جديدة لتمكين

للنفوذ الجرماني من السيطرة الكاملة على مرافق تركيا الاقتصادية فعاد السلطان عبد الحميد يعرض المشروع مجدداً على بنك تركيا الوطني الذي قبل في هذه المرة تبنيه وقيادة اخراجه الى حيز الوجود . والغريب في الامر ان بنك تركيا هذا ليس هو الا مؤسسة مالية بريطانية .

تمر فترة قصيرة من الوقت على اعمال التنقيب والحفر والاستخراج فيتظاهر هذا المصرف باسم حماية الثروة الوطنية باليأس من فوائد الاستمرار في تنفيذ هذا المشروع ويتنازل عن حصته البالغة ٧٧٫٥ بالمئة من مجموع الاسهم الى الشركة الانكليزية الفارسية المعروفة بالانكلو ايرانيان قبل التأميم الذي تم على يد حكومة الدكتور محمد مصدق في اواخر عام ١٩٥١ ، وكان من النتائج الاولية لقبول هذه الشركة بتملك اسهم البنك الوطني العثماني في شركة النفط التركية ان حصلت على وثيقة تؤجرها حقول البترول في منطقتي الموصل وبغداد من حكومة الباب العالي .

ولا بد ايضا ونحن في سياق هذا الاستطراد من التحدث قليلا عن المراحل التي مرت فيها الموصل الى ان تم لها الاستقرار على وضعها الحالي على اعتبار انها مصدر قصة النفط وما يدور حوله من منازعات في الشرق الاوسط بين الدول العظمى منذ نشوب الحرب الكونية الاولى .

صراع الدول حول الموصل

لقد قضت معاهدة « سيكس بيكو » التي سبقت الاشارة اليها وقلنا فيها انها ما زالت الاساس التاريخي الجغرافي لاقتسام مناطق النفوذ في الشرق الاوسط بين حلفاء الغرب بان تضم الموصل الى المنطقة المخصصة لفرنسا في الشرق الادنى بالرغم عن وفرة ثروتها البترولية ولعل تفسير ذلك وايضاح السر فيه ان انكلترا بعد الهزيمة التي منى بها جيشها بقيادة تونشد عند كوت العمارة ارادت اغراء فرنسا على بذل مجهود صادق في الشرق الادنى فوعدتها بمنطقة واسعة منه ، ولكن هذا الامل لم يتحقق بسبب تحرج موقف الفرنسيين في الميدان الاوروبي وحاجاتهم الى تركيز جهودهم فيه لايقاف الزحف الماني وعلى هذا وقع في الحقيقة عبء الحرب في الميدان الاسيوي على عاتق انكلترا التي ادركت بعد ان لاحت طلائع الانتصار ان استبقاء الموصل في حيازة منطقة انتدابها امر لا بد منه

ولا حاجة في هذه المناسبة الى التنويه بما جرى من خلافات ومشادات بين فرنسا وانكلترا في سبيل تقرير مصير الموصل ووضع اليد على حقولها البترولية وزج تركيا كطرف ثالث تشد ازر فرنسا في صدد هذه القضية اذ يخرج بنا ذلك عن موضوع هذا الفصل .

دخول الموصل في منطقة النفوذ البريطاني

وختاما استقر امر الموصل ودخل في منطقة النفوذ البريطاني من الوجه الدولي وذلك بعد ان نودي بجلالة المرحوم فيصل الاول ملكا على العراق واحتلت القوات العراقية هذه المنطقة على اعتبار انها تشكل جزء من بلادها منذ وجدت العراق نفسها ، فعرض الامر على مجلس عصبة الامم الذي اتخذ في السادس عشر من شهر كانون الاول عام ١٩٢٥ قرارا يقضي بضم الموصل الى العراق وقد تم ذلك تحت ضغط الدبلوماسية البريطانية وبالرغم عن جميع الجهود المعاكسة التي بذلها الفرنسيون في هذا السبيل .

اطراد الزحف الاميركي

لقد اردنا من وراء هذا الاستطراد الذي ولو طال بعض الشيء ان نوضح من الوجهة التاريخية بقدر الامكان حقيقة الوسائل الذي اعتمد عليها الاستعمار البترولي الاميركي في بداية زحفه على الشرق الاوسط اذ تقدم القول انه كما تأزمت العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة من جراء انتهاج الاولى سياسة احتكار استخراج البترول في منطقة الشرق الاوسط ان اسفرت مساعي الداهية الانكليزي البترولي السرجون كورمان عام ١٩٢٢ عن تنازل بريطانيا لشركة ستاندرد اويل عن نصف اسهمها في شركة البترول التركية ، هذه المؤسسة التي حصلت على سند ايجار من الحكومة العثمانية للتنقيب واستخراج النفط في ولايتي الموصل وبغداد .

اميركا تستولي على البترول السعودي

واما المرحلة الثانية لدفعة الاستعمارية الاميركية عبر الشرق الاوسط التي ترتدي الطابع البترولي والاقتصادي فتبدأ بتنازل بريطانيا عن حقوقها وامتيازاتهـــا لاميركا في المملكة السعودية للتنقيب وصناعة البترول وهو الامر العجب وقد اختلفت التعاليل كثيراً في هذه المفاجأة التي لم يكن يتوقعها اكثر الدوائر الدولية العليا خبرة باسرار الصفقات البترولية ولعل الاقرب الى المنطق هو ان هذا التنازل جاء نتيجة لعقد خفي ظاهره تهادن وباطنه اختيار اسلوب اخر لتعزيز الصراع بين اصحاب المصالح العالمية البريطانيه والاميركية .

غير ان المسألة وجـه اخر هو الاساس في الحقيقة والدافـع الصحيح فالمعروف ان القوى الرأسمالية الاحتـكارية تعمـل على اقتسام العالم فيما بينها وتعقد الاتفاقات التي تحدد مناطق النفـوذ الخاصة بكل فيها ، وهذه الاتفاقات تظل موضع المراعاة والتقيد بها ما دامت المتفقة او المتنافسة على ما هي عليه ، ولكن اذا تغير ميزان القوى صار من الامور الطبيعية ان تنقض هذه الاتفاقات وان يعدل التقسيم لصالـح الجانب الذي ازداد قوة . هذه هي طبيعة النظام الرأسمالي التي لا تقبل شكاً او نقاشاً . فقبل الحرب الاستعمارية الاولى اشتركت الرأسمالية الالمانية مـــع زميلتها الانكليزية في احتـكار استثمار بترول بـلاد الجزيرة وذلك عن طريق تكوين شركة البترول التركية فلما انتهت الحرب الاولى

بهزيمة المانيا كان معنى هذا ان الرأسمالية الالمانية اصيبت اصابة شديدة ولهذا استولت الرأسمالية الانكليزية والفرنسية على حصصها وحلت مكانها في هذا الميدان ثم هبت عاصفة الحرب الثانية فكان من آثارها المامومة اليوم التحطيم الكبير الذي اصاب الرأسمالية في كل من المانيا وايطاليا وفرنسا واليابان فلا بد من وقت طويل قبل نهوض هذه الدول من كبوتها وينطبق نفس هذا القول على فرنسا كذلك بالرغم من انها من الدول المسجلة بين رابحي الحرب

اختلال نظام القوى الدولية

اذن فالتعليل الثاني المقبول في المنطق السياسي هو ان تنازل انكلترا عن امتيازاتها النفطية في المملكة السعودية لاميركا الذي اصطبغ بطابع التفاهم بين الدولتين ليس هو الا نتيجة لاختلال نظام القوى ورجحان الكفة الاميركية من حيث الواقع على امكانيات بريطانيا في مقومات كيانها الاستعماري .

ولنرجع الان الى بعض الوقائع التي تصحبنا في تدوين الزحفة الاميركية البترولية مرحلة فمرحلة . ففي عام ١٩٣٠ نالت شركة ستاندارد اويل في كاليفورنيا امتيازاً يعطيها حق التنقيب عن البترول في ارخبيل البحرين وقد ولدت منها شعبة استثمارية اطلقت على نفسها اسم شركة البحرين للتنقيب عن البترول . وفي ذات التاريخ حصلت شركة كاليفورنيا على امتياز للتنقيب عن البترول في العربية السعودية على الساحل الكائن في منطقة الخليج الفارسي وفي عام ١٩٣٥ منحت شركة ستاندارد اويل اوف ارابيا

المتفرعة عن الاولى امتيـــاز التفرد في التنقيب عن البترول واستخراجه في المناطق المحيطة بالبحر الاحمر ومنها العسير والحجاز

ولم يقف الامر عند هذا الحد اذ ان التراجع البريطاني امام الدفعة الاميركية قد دشن مرحلته الثانية في تنازل بريطانيـــا بصورة رسمية ونهائية عن امتيازاتها البترولية لصالـح الشركات الاميركية في منطقة البحر الاحمر بكامل اجزائهـا وذلك في شهر تموز من عـام ١٩٤٢ نتيجة لاعمال البحثـات « الجيولوجية » التي ارسلتها حكومة واشنطن في اوائل عام ١٩٤٠ الى منطقـة البحر المذكور وقد اجمعت من الناحية الفنية في تقاريرها على ان البقعة الممتدة من شمال غربي شبه جزيرة سينـاء حتى المدينة المنورة هي من اغنى المناطق في الجزيرة العربية بمعدن النفط .

اسرار النقطة الرابعة وتأميم البترول الايراني

والنزاع المصري البريطاني

واما الوثبة الثالثة التي حسرت فيها الولايات المتحدة القنـاع عن عراكها العنيف مع بريطانيا والتي فيهـا مفتاح اللغز لاسرار النقطة الرابعة وتأميم البترول الايراني والنزاع المصري البريطاني فقد يكون المستر ايكس رئيس هيئـة احتياطيات البترول لدى الحكومة الاميركية قد وفق الى الكشف عنها في هذا المقال الذي نشرته له الجريدة الناطقة بلسان الاميرالية الاميركية نقتطف منه المقطع الاتي :

«يساورنا القلق من ناحية حقيقية لا سبيل الى انكارهـا او الجدل بشأنها وهي اننا في حالة ما اذا نشبت حرب عالمية ثالثة يتعين علينا ان نلجأ الى استخدام البترول الذي يملكه الغير حتى يصير في مقدورنا مواصلة القتال لان الولايات المتحدة لن يتوافر لديها البترول الكافي في ذلك الوقت . وفي اعتقادي انه لن نتمكن من خوض حرب عظيمة اخرى بالاعتماد على مواردنا خاصة اذا ما تطورت تلك الحرب فصارت ذات طابع عالمي واسع النطاق. فاذا كان علينا ان نحافظ على حضارتنـــا على اساس البترول فالواجب يقضي ان نكون على استعداد للسير نحو المناطق التي يتوافر فيها البترول . الى ان قال ان عاصمة زيت البترول تتجه نحو الشرق الاوسط وخير للولايات المتحدة ان تسرع بالدخول في هذه الامبراطورية .»

مؤامرات وانقلابات

في الشرق الاوسط

الامبرياليزم الاحتكاري الاميركي والاحتياطية البترولية الحكومية التي اخذت تعتقد اعتقادا راسخا ان لا بد من نشوب حرب ثالثة عاجلا ام آجلا وان لا بد من توفير الكميات اللازمة من البترول لكسبها اذ ان المعركة العالمية الثالثة سوف تكون حربا بترولية صرفة ، ان الامبرياليزم الاحتكاري الاميركي اي تلك الشركات الرأسمالية الضخمة ذات المطامع الاستعمارية والتوسعية ، والاحتياطية البترولية الحكومية اي الهيئة المكلفة بتأمين احتياطي البترول بالنسبة التي يتطلبها تموين الطائرات والاساطيل البحرية والالية البرية على اختلاف انواعها ومهامها بالوقود الزيتية لخوض غمار ثالثة على اساس الربح والكسب ، ان هاتين الهيئتين وما يتفرع عنهما من مسميات متبانية استقر بهما الراي على الزحف السافر الى امبراطورية النفط اي الشرق الاوسط كما اسماها المستر اكس ولو افضى ذلك الى قتال جهور مع بريطانيا وقلب قاعدة الاوضاع السياسية في هذه البقعة راسا على عقب .

من هنا نستطيع ان نلمس مكامن السر في النقطة الرابعة من برنامج الرئيس ترومان وفي اصراره على المطالبة بسياسة الباب المفتوح .

والواقع ان من اولى مستلزمات التوسع الامبريالي حيثما تقضي به الظروف ان يمتنع عن الاستعانة في تحقيق برامجه بقواه العسكرية، بل بالاتكال على امكانياته المالية للتحكم في اقتصاديات البقعة المستهدفة من حركته التوسيعية .

استعداد اميركا للحرب الثالثة

لقد خرجت « الامبريالية الاميركية » من الحرب الكونية الثانية منتصرة وعلى اشد ما تكون الرأسمالية الاحتكارية من التضخم ولكنها في الوقت نفسه كانت تدرك ادراكا جيداً ان الحلقة الثالثة لوحدة الحرب العالمية التي ابتدأت بابتداء عام ١٩١٤ لا بد من مواجهتها وان رأسمالها هو البترول وان الاحتياطي الاميركي منه ليس بكاف لتغطية اقل نسبات حاجاتها فاذن لا ندحة عن غزو هذا الاحتياطي في مواطنه ولو كلف ذلك الاحتكاك المباشر مع بريطانيا ذلك انها اي بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تسيطر على موارده في الشرق الاوسط .

فالى الشرق الاوسط مهما كان الثمن وبالغة ما بلغت النتائج ! والى العمل على اقامة قواعد اقتصادية وسياسية في كل ناحية من انحائه لجعل الولايات المتحدة في مأمن من انه تم لها وضع يدها على موارد الاحتياط من البترول واضحت في مكنة من تموين

(آلتها الحربية) بهذه المادة في حالة اضطرارها لمجابهة الحلقة الثالثة من سلسلة وحدة الحرب العالمية او بعبارة اخرى التي تختلف جداً عن سابقتها معنى وهدفاً، السعي باي ثمن الى تأمين هذا الاحتياطي من غذاء الالة الحربية لضمانة السبيل العملي للامبريالية الاميركية من اثارة الحرب الثالثه والنجاح في بسط سيادة الولايات المتحدة الاستعمارية على العالم .

ونضع فيما يلي بعض الوقائـــع تحت ابصار القارى عن بداية المعركة السافرة بين اميركا وبريطانيا حول تفوق احداهما اولا ثم تفردها ثانيا بفرض سلطانهـا على امبراطورية الاحتياطي من البترول .

الى الشرق الاوسط مرحبا كان الشعب

المستر اكس رئيس هيئة احتياطيات البترول في الحكومة الاميركية حقق حلمه واخرج فكرته الي حـــيز الوجود وهي الفكرة الداعية الى الاستيلاء الاميركي على الشرق الاوسط اذ في الخامس من شهر شباط عـــام ١٩٤٤ فاجأ العالم بالكشف عن مشروع اميركي خطير وفيما يلي اهم عناصره :

١ — صرح المستر هارولد اكس انه بنـاء على توصيات ادارتي الحرب والبحرية ورؤساء اركان القوات وادارة بترول الجيش قد خول له ان يسعى الى عقد اتفاق من حيث المبدأ مـــع شركة الزيت العربية الاميركية وذلك بشأن مد خط انابيب لنقـل البترول من ساحل الخليج الفارسي الى المكن الملائم على الساحـل

الشرقي للبحر المتوسط .

ثانياً – تتعهد الشركات ان تحتفظ لحكومة الولايات المتحدة بالف مليون برميل من احتياطي بترول الخام (او ٢٠ بالمئة من مجموع الاحتياطيات الكلي اذا كان دون خمسة الاف مليون برميل) وهذا الجزء المخصص للحكومة الاميركية تكون لها حرية شرائه كله او بعضه لاستعمال القوات البرية والبحرية والجوية في اي وقت خلال فترة قدرها خمسون عاماً في الولايات المتحدة .

ثالثاً – وفضلا عن هذا يكون للحكومة الاميركية في وقت الحرب او الضرورات القومية الخيار في شراء جميع انتاج الشركات من البترول الخام ومشتقاته باسعار يتفق عليها في ذلك الوقت .

رابعاً – وينص الاتفاق المراد عقده على الا تبيع الشركات البترول او مشتقاته الى اية حكومة اخرى او رعاياها اذا رأت الحكومة الاميركية ان هذه المبيعات غير حكيمة من وجهة نظر سياسة البلد الخارجية او مطالب السلامة الجماعية . وكذلك يتعين على الشركات قبل اجراء مفاوضات مع اية حكومة ان تبلغ امرها الى السلطات الاميركية وادارة احتياطيات البترول .

خامساً – قدرت للمشروع نفقات تتراوح بين ١٣٠ و ١٦٥ مليونا من الدولارات .

والجدير بالتنويه في هذه المناسبة ان الكشف عن هذا المشروع قد جاء عقب زيارة لقائد القوات الاميركية في الشرق الاوسط الماجور جنرال روبس في ذاك الوقت قام بها للملك عبد العزيز

ال السعود يصحبه خبراء ينتمون الى مجموعة شركة « كالتاكس » هي الشركة التي سبق لها وحصلت على امتيازات هامة في المملكة العربية السعودية .

ميلاد التابلاين واشتداد المعركة

من هنا ميلاد التابلاين وما دعمها من نقطة رابعة او من هنا سطرت الجولة الاولى من صفحة المعركة السافرة بين الولايات المتحدة وبريطانيا لتملك موارد احتياطي البترول الدفين في بطن الشرق الاوسط .

لقد قوبل هذا المشروع بكثير من الجزع والاضطراب في اوساط الرأي العام البريطاني اذ ركز الاقتناع في نفسية المسؤول وغير المسؤول من الانكليز ان حليفتهم الكبرى ترمي من ورائه الى زحزحتهم عن مركزهم التقليدي الممتاز ان لم يكن اخراجهم نهائياً من الشرق الاوسط .

وما من شك في ان الرأي العام الانكليزي والدولي معاً محقان اذا ما قابلا هذا المشروع عند ظهوره بالدهشة والحذر والقلق لانه عمل يعود على الولايات المتحدة بمزايا لها اهميتها وشأنها الكبير نلخص على النحو الاتي البعض منها :

فمن الناحية العسكرية تصبح تحت تصرف الجيش والبحرية والطيران احتياطيات ضخمة بما يزيد في مناعة هذه القوات بنسبة ضعفي امكانيات بريطانيا والاتحاد السوفياتي مجتمعتين . ذلك ان

نجاح هذا المشروع واقراره بعقود طويلة مع البلدان المنتجة للنفط يمكن الولايات المتحدة كما قدر المستر « اكس » نفسه من امتلاك نصف احتياطي بترول العالم .

ثم ، وهذه هي الناحية الحساسة في الموضوع انه بواسطة مد الانابيب وانشاء معامل التكرير تضاعف الولايات المتحدة من نفوذها الاقتصادي والسياسي في هذه الاقاليم ، الامر الذي ليس من سبيل الى تحقيقه الى في ادخال تغييرات اساسية على قاعدة التقسيمات السياسية في الشرق الاوسط .

ولقد رأينا على مسرح الواقع ان المقاومة البريطانية في مختلف حلقاتها وما رافقها من مؤتمرات عقدت تارة في وشنطن واخرى في لندن ، سميت مرة تمهيدية ، وثانية فنية لاحباط هذا المشروع قد افلست وافلست افلاساً مفضوحاً وتابعت الامبريالية البترولية الاميركية زحفها الى قلب امبراطورية احتياط النفط .

تبدل النظم السياسية وقيام اسرائيل

رأينا بام العين وعلى مسرح الواقع الصارخ انه من هذا المشروع الذي تم بارادة ادارة احتياطات البترول في الولايات المتحدة تنشأ التابلاين وتتبدل بقيامها النظم السياسية في اكثر من بلد واحد من بلدان الشرق الاوسط حتى وقد نشأت دولة في قلب العالم العربي وعلى حساب حقوقه القومية بالرغم عن مداورات بريطانيا ومناوراتها من دبلوماسية وعسكرية ولو قيل في ذلك مهما

قيل وبالرغم ايضاً من ان بعض المفسرين السياسيين يردون نشأتها او خلقها الى خطة بريطانية كثيفة الغموض في غاياتها البعيدة .

نشأت اسرائيل هذه الدولة الغريبة العجيبة في كل تركيب من تركيبها العنصري والاقتصادي بنشوء التابلاين وفي افتتاح الصفحة الاولى للغزوة الاميركية لقيصرية احتياطي البترول .

لقد ولدت هـذه الدولة العجب وليس من غاية لوجودهـا الا لكونها تشكل طرفاً من اطراف كماشة الدفعة الاميركية لتوطيد دعائم حماية استراتجية الدفاع عن كيان الارامكو ونفوذهـا وانابيب التابلاين ومصباتها على شواطىء المتوسط اللبناني .

والى جانب هذه المفاجأة التي لم تكن متوقعـة على الشكل الذي تمت به برزت ظاهرات سياسية اخرى قـد تفوتها اهمية من حيث نتائجها في المستقبل اذا ما نظر اليها في مكـبر حساس العدسة ، لقد ازيح مشروع سوريا الكبرى ومشتقاته كهـلال خصيب وغيره من الطريق لان في تحقيقه مـا يمكن للسياسة البريطانية من الالتفاف بحركة معاكسة على الاندفاع الاميركي ، ثم اقرن ذلك مباشرة باخراج الانكليز من مستعمرتهم البترولية في ايران الامر الذي يعلو اثراً وقيمة قيام اسرائيل نفسها ! ومـا زالت التابلاين تندفع الى امام والمقصود في التابلاين هنـا الغزوة الاميركية لوضع اليد على موارد الاحتيـاط النفطي في الشرق الاوسط ، الى ان نجح هذا الصراع الدامي الفتاك في اسقـاط حكومة الوفد المصري المعروف بنزعاته البريطانية من الحكم

وافساح المجال للسفارة الاميركية في القاهرة في ان تقوم بالدور الاساسي بحجة الوساطة وتحت جنحها وظلمتهـــا بتوجيه النزاع المصري الانكليزي وتقرير مصيره .

كانت الصفحات المتقدمة من هذه الرسالة عبـــارة عن دراسة مقتضبة عابرة ، تستند في كل فصل عن فصولها الى الوقائع والوثائق والمعالجة المنطقية لسير الحوادث وتطوراتها واتجاهاتها لهذا الصراع الخفي والتطاحن العنيف المستتر بين الدولتين الانكلوسكسونيتين حول احراز السيطرة على الموارد البترولية في الشرق الاوسط وتفرد كل منهما اي الولايات المتحدة وبريطانيا في تكوين نفوذهما على هذا الاساس . ولا مندوحة لنا بعد ذلك من الانتقال بالقارىء الى مقدمات هذا النزاع وتمهيداته ولو ان التقديم الى متابعة هذا البحث اضطرنا للاستعانة في التفسير السياسي والتخلي موقتاً عن العامل البترولي للاسباب البعيدة التي تضافرت فيما بينهـا وخلقت الاوضاع العامة التي تهيمن حيالياً على هذه البقعة من العالم .

الاجلاء الفرنسي

من المسلم بـــه لكل ملم في مجاريات الامور وبواطنها ان الانكلوسكسونية ولو كانت تتناصب في الخفيـة اشد الوان التنافس كان عليها في نفس الوقت ان تتعاون وان ادى الامر الى الى مؤامرة — للتخلص نهائيـاً من النفوذ اللاتيني الممثل بالوجود الفرنسي في كل من سوريا ولبنان وهما الضفتان الرئيسيتان لابرز

قاعدة استراتيجية على شواطىء الجزء الشرقي من حوض المتوسط كان عليها ان يتعاونا باي ثمن لتحقيق هذه الامنية والظفر بها

ولو اراد مدقق سياسي ان يتأمل بشيء من طـــول الاناة والتجرد الى هذا الموضوع لاتضح له على النحو الذي لا يقبـل الجدل والمغالطة ان الدبلوماسية الانكلوسكسونية أوجـــدت للفترة الواقعة ما بين قبل نهاية الحرب وبعد ربحها من العمل على تطهير الشرق الاوسط من اثار اللاتينية الممثـــلة بفرنسا عنصراً اساسياً من عناصر تقرير مصير هذه البقعة .

حديث الجنرال كاترو

ولا نريد هنا ان نحاول فرض نظريات والاتيان باراء مجردة ولنستمع الى « الجنرال كاترو » يحدثنا اسهابا في صدد هذه الفكرة بما ورد في مؤلفه الفخـــم (في معركة المتوسط) من الادلة والبينات .

قال الجنرال كاترو الذي مثل البقـاء الفرنسي وامتـداده الى جانب بريطانيا واحلافها من اميركيين وغيرهم اثناء الحرب الاخيرة بالرغم عن انهيار فرنسا العسكري في الميدان الاوروبي واحتلالها من الالمان وقيام حكومة فرنسية تعاونية مـــع سادة الريخ الثالث برئاسة المارشال «بتان» ، بالرغم عن هذه الاعتبارات الدقيقة جميعها رأى البريطانيون ان الفرصة مؤاتية لاحراق البقية الباقية من الوجـود الفرنسي على الشاطىء الشرقي للمتوسط وفي

هذا كتب الجنرال كاترو في الصفحة ١٧٣ من مؤلفه المذكور يقول :

ديغول والعقلية البريطانية

« اعتقد الجنرال ديغول الذي تزعم حركة البقاء الفرنسي الى جانب بريطانيا خلال الحرب الكونية الاخيرة ان الاتفاقات التي عقدها مع الكابتان ليتلتون عضو وزارة الحرب البريطانية انذاك كانت كفيلة بوضع حقوق فرنسا المكتسبة في سوريا ولبنان فوق متناول كل دسيسة اجنبية وان البريطانيين فيما اذا احترموا تعهداتهم ليس لهم من غاية اخرى يهدفون اليها في هذه المنطقة الا ربح الحرب مما يؤمن لهذا الوجود الرمزي لفرنسا الانصراف الى تنظيم علاقاته وارتباطاته مع بلدى المشرق على اعتبار انها دولتان مستقلتان ذات سيادة في جو من الحرية والطمأنينة .

هذا ما رسخ في عقيدة الجنرال ديغول وفي قرارة نفسه غير ان الوقائع اثبتت عكس ذلك واوضحت ان الجنرال « السر ميتلاند ويلسون » واعوانه يتكيفون في الامور ويتدخلون مباشرة في سياسة البلدين وكأن اي اتفاق لم يكن قد وقع بينهم وبين البقية الفرنسية المناضلة ولو انها رمزية .

بريطانيا تعمل على اخراج فرنسا من سوريا ولبنان

وليت الانتهازية وقفت بالقائد البريطاني عند هذا الحد اذ

انه حينما اعترضت على تصرفاته بالنسبة لما لفرنسا من حقوق مكتسبة ومصالح معينة في هذه المنطقة من الوجهة المبدئية وبالنسبة للواجبات المترتبة على بريطانيا المقررة ضمن الاتفاقات المسهورة بتواقيع ممثليها اجابني على هذا الاعتراض انه بوصفه قائداً اعلى لقوات الحلفاء بوسعه ان يعلن فوراً ان هذه المنطقة اي سوريا ولبنان » على اعتبار كونها محتلة بحكم ظروف الحرب هي خاضعة للاحكام العرفية .

فلت الكلام للجنرال كاترو « ليت الانتهازية وقفت بالجنرال ولسون عند هذا الحد ، بل انه توفر على تنفيذ خطة محكمة تهدف مباشرة الى فصل جبل الدروز والجزيرة عن سوريا اي عن نطاق النفوذ الفرنسي في بلدي المشرق وتفصيل ذلك :

السيطرة على جبل الدروز

والسعي لضمه الى الاردن

اسند الجنرال البريطاني للقوات المتحالفة في سوريا ولبنان مهمة السيطرة السياسية على جبل الدروز الى القوماندور باس ، احد مرظفي دوائر المخابرات البريطانية السرية في الشرق الاوسط انتيليجانس سرفيس »

الذي اخذ منذ توليه التمرس في تبعات وظائفه يعمل جهاراً بالاغراء المالي تارة وبالمغريات السياسية مرة اخرى على حمل زعماء

الجبل الدرزي لاعلان انفصال منطقتهم عن سوريا والمطالبة بضمهم الى شرقي الاردن . وفي الواقع فقد كان هذا الضابط التابع لدوائر الاستخبارات البريطانية العسكرية في الشرق الاوسط من البراعة والمهارة بحيث كادت خطته تاتي ثمارها لولا ان بعض العوامل المشتقة من سياسة بريطانيا العليا لم تفعل فعلها في الدقيقة الاخيرة وتتجه بالحوادث الى غير الوجهة التي رسمها لها موظفو الانتيليجانس سرفيس بالاتفاق مع الجنرال ويلسون ، ذلك انه ازاء نشاط الكومندور باس لم ار مندوحة عن استدعاء زعماء الجبل الدرزي الى دمشق ولقد اجابوني على استيضاحاتي عن خطتهم الانفصالية واسباب سعيهم للالتحاق بشرقي الاردن ان الزمن الذي كان فيه من اثر لحق بمثلين فرنسا في القاء مثل هذه الاسئلة قد اندثر وانخرط عميقا بين صفحات الماضي السحيق .

النزاع بين السكسونه واللاتين

ثم يستطرد الجنرال كاترو في هذا الفصل من استعراضه لظاهرات هذه المرحلة من النزاع بين السكسونية واللاتينية على ضفاف المتوسط الشرقي فينتهي الى القول ان الخطة التي درج عليها وكلاء الانتليجانس سرفيس في جبل الدروز هي نفسها التي جعلوا يطبقونها في منطقة الفرات (الجزيرة العليا) وقد يكون على نحو اشد عنفاً في مناصبة العداء للفرنسيين الامر الذي حمل الجنرال ديغول على اتخاذ موقف حازم حتى وحاسم من وزارة

الحرب البريطانية والمطالبة بالتقيد في تنفيذ الاتفاقات المبرمة مع الكابتان ليتلتون بجزافيرها . ولقد كان لهذا الموقف الذي اتخذه الجنرال ديغول اثاره الايجابية ولكنه مع ذلك لم يجنب الادارة الفرنسية تظاهرة الاستياء البريطاني ، اذ ان علائم البغضاء لم تقتصر بلورتها في العلاقات القائمة بين الجنرالين ولسون وديغول بل ان المستر تشرشل رئيس مجلس الوزراء انذاك كان اشد انفعالا من ممثله العسكري السر ميتلاند ولسون، بحيث لم يتورع في الجلسة التي عقدها مجلس العموم البريطاني في التاسع من شهر ايلول ١٩٤١ عن الادلاء بتصريح قال فيه بالحرف الواحد : اننا لم نذهب الى سوريا ولبنان للاكتفاء بالاستعاضة عن فرنسي فيشي بفرنسي « الجنرال ديغول » وهذ التصريح الجزئي الصريح الذي وضع الاتفاقات المعقودة بين الجنرال ديغول وتشرشل نفسه موضع البحث كما كان وحياً للسياسة التي درج عليها الجنرال سبيرس فيما بعد .

سبيرس يعمل لتصفية الوجود الفرنسي

ثم ينتقل الجنرال « كاترو » في الفصل الثالث والعشرين من مؤلفه في « معركة المتوسط» فيتحدث باسهاب وتبسط عن الجهود التي بذلها الجنرال السر « ادوارد سبيرس » لتصفية الوجود الفرنسي نهائياً في سوريا ولبنان ولا بأس هنا من نقل اقواله حرفياً التي تضمنت ما يأتي : « بالرغم من ان وقائع هذا الجزء

المقتضب من حديثي تتكفل بنفسها اعطاء فكرة عن شخصية السر ادوارد سبيرس الذي يرجع الى خطته الفضل في تنفيذ اهداف اعتق اتجاهات الدبلوماسية البريطانية واشدها صلابة فيما يتناول التزاحم بينها وبين النفوذ الفرنسي على الحوض الشرقي للمتوسط — فما من ضير على ما اعتقد — « الكلام للجنرال كاترو » لو ساعدت القارىء على سبر اعماق هذا الداهية العصبي من دهاة السياسة الانكليزية .

من المعروف ان المستر ونستون تشرشل رئيس مجلس الوزراء البريطاني عهد عام ١٩٤٠ الى الجنرال سبيرس بالاشراف على بعثة الارتباط البريطاني لدى الجنرال ديغول .

ولاقدام المستر تشرشل على هذا الاختيار طائفة من الاسباب منها الادبي الروحي « الذي يرجع الى ادعاءات سبيرس » بميوله ونزعاته الفرنسية ومنها ما يعود الى الظروف العملية ذاتها اذ اتفق ان هذا الاخير قد نقل الجنرال ديغول على متن طائرته الخاصة من بوردو (فرنسا) الى لندن الامر الذي جعله يتغنى دائماً بانه حمل بين ذراعيه « ميلاد الجنرال ديغول السياسي » فكان من التعمد في كثره ترديد هذه العبارة ان تأثرت شخصية « ديغول » المعروفة بشدة حساسيتها وقوتها واتضح له ان الجنرال سبيرس يريد ان يضع منه اداة طيعة لتوجيه مآربه السياسية مما اوقع النفرة فوراً بين صديقي الامس .

العلاقات بين ديغول وسبيرس

وكان من اتخاذ العلاقات بينهما هذا السبيل من التطور لاسيما

عقب الاقامة الطويلة التي قضاها الجنرال ديغول في افريقيا السوداء نتيجة لحملة « دكار » الفاشلة ان جاهر هذا الاخير في رأيه بالجنرال سبيرس وطلب الى تشرشل عند عودته الى لندن باستبداله. الا ان رئيس مجلس الوزراء البريطاني عارض في ذلك على طريقته اللينة الملساء لغرض خفي سوف يتضح لنا فيما بعد .

ويقضي سير الظروف ذاتها بان يصحب سبيرس الجنرال ديغول الى برازافيل فمصر حيث اتيح لي التعرف عليه .

ولقد كنت في ذاك الوقت على خلاف شديد مع الجنرال وافيل قائد قوات الحلفاء في الشرق الاوسط بشأن الحصار الاقتصادي حول سوريا ولبنان والزحف العسكري عليهما . ولا انكر في هذه المناسبة ان الجنرال سبيرس كان لي بمثابة عون مخلص فعال لاقتناع القائد البريطاني العام بصواب وجهات نظري ولحمل المستر تشرشل نفسه من ناحية اخرى على تقرير حملة سوريا ولبنان .

وتمر الايام بعد ذلك فتسند مهمة الارتباط السياسي بين الادارة الفرنسية من عسكرية ومدنية وبين القيادة البريطانية التي كان يتولاها الجنرال ولسون الى السر ادوارد سبيرس الامر الذي لم يكن من شأنه ان يمهد الى تعاون فعال صادق لصالح الجانبين ذلك ان الجنرال ولسون نفسه لم يستقبل في ارتياح صحيح وكالة سبيرس هذه لسببين اولاهما لصداقته المتينة مع المستر تشرشل ولكونه من رجال السياسة واحد اعضاء مجلس

العموم ولنيله في الحرب الكونية الاولى رتبة جنرال وهو في الثلاثين من عمره دون ان يؤدي في الميدان من الخدمات العسكرية ما تستحق هذا التقدير ، وثانيهما لان الجنرال ويلسون كان يرشح لهذا المنصب المستر هافارد قنصل بريطانيا العام السابق في بيروت .

وفي الواقع ما كاد « سبيرس » يشرع في التمرس بمهامه ، سبيرس ، هذا الذي كان يتفنى حينما كانت فرنسا بمجدها وفي اوج قوتها العسكرية بصداقتها حتى اخذ يضع خطة لازاحة البقية الباقية من الوجود الفرنسي على هذه الضفة من المتوسط . وقد ارتجل لنفسه في سلوك هذه الخطة مجموعة من الاعذار والمبررات منها ان حركة الجنرال ديغول لم تقابل من الفرنسيين بالشعبية التي كان يتوقعها ومنها ان زعيم التمرد على الاحتلال الالماني وحامل لواء المقاومة والاستمرار في الحرب قد ناصب المستر تشرشل العداء في السياسة التي اتبعها في لبنان وسوريا مما برر لوكيل رئيس الوزارة البريطانية الاعتقاد انه يحل من جميع ارتباطاته والتزاماته نحو الجنرال ديغول والعكس بالعكس .

وفعلا فان القلم ليعجز عن وصف الكراهية التي كان يوجه فيها خططه السياسية ضد الادارة الفرنسية في هذا القطر اذ اعتبر انه عليه كبريطاني يؤمن في عظمة امبراطوريته ان يرفع الحجز الفرنسي عن دائرة نفوذها في هذه الرقعة من شرقي المتوسط .

سبيرس يصارع فرنسا

ثم يتابع الجنرال « كاترو » وصف الحرب الخفية التي اشهرها

الجنرال « سبيرس » على البقية الرمزية الموجود الفرنسي فيقول :

في الواقع قد اثار ممثل المستر تشرشل الذي امتاز بالتجرد من الضمير السياسي حملة من اعنف الحملات على هذه الاسرة الصغيرة من الفرنسيين الحلفاء التقليديين للانكليز طوال سنوات اربع وكانت حملة تختلف في قساوتها وشراستها باختلاف الظروف وسيرها .

وعلى ذلك مضى المتتبعون لاتجاهات الاوضاع السياسية في هذا الشق من الشرق الاوسط يتساءلون ما اذا كانت هذه الخطة التي درج عليها الجنرال سبيرس لازالة اخر اثر للنفوذ الفرنسي في بلدي المشرق هي من صنع دماغه وحده ام انها نتيجة للتعليمات والارشادات التي كان يتلقاها من لندن ؟

انني اعتقد ان هذه السياسة اتسمت بطابع « سبيرس » الشخصي الا انها من حيث الاهداف التي ترمي اليها يمكن ان نسميها ونطلق عليها انها سياسة بريطانيا العظمى .

ان هذه السياسة هي اقدم من « سبيرس » كما انها اقدم من تشرشل نفسه وهي ترتكز على حقيقة بريطانية عميقة تقوم على محاربة كل نفوذ سياسي واقتصادي لاية دولة اجنبية في شرقي المتوسط ، انها ولدت بولد حملة نابليون بونابرت على مصر وعكا وتبلورت في انتصارات ابراهيم باشا في سوريا ، ثم عهد فيما بعد الى الملك حسين وولده الملك فيصل في تجسيدها وتحويلها رويداً رويداً الى واقع كبير .

ان هذه السياسة كما اسلفنا ابتدأت بابتداء حملة بونابرت على مصر وكانت تستهدف في كل حلقة من حلقاتها ابعاد النفوذ الفرنسي عن شرقي المتوسط .

واما تظاهر بريطانيا في الترحيب بالجوار الفرنسي لمنطقة نفوذها في رقعة الشرق الاوسط التي فرضته معاهدة سان ريمو عام ١٩٢٠ لم يكن الا رياء وكذباً وختالا واستسلاماً لضرورات الوضع الدولي وقتذاك والواقع الذي لا مفر لها منه . غير ان بريطانيا كانت تترقب المؤاتيات وتتحين الصدف التي قد تحمل في طياتها تسويات دولية جديدة تقوم على انقاض معاهدة سان ريمو .

بريطانيا لم تسلم ابداً في الوجود الفرنسي

في سوريا ولبنان

ان بريطانيا لم تسلم ابداً بالوجود الفرنسي في شرقي المتوسط كواقع سياسي دائم ولم تقبل في اية صورة الوجود الفرنسي في دمشق عاصمة العالم العربي التاريخية وقلبه النابض ودماغه المفكر.

وكانت دائماً تعتقد ان بقاء فرنسا الى جوار مناطق نفوذها في الشرق الاوسط ان هو الا حادثة طارئة وان هذا الحادث سوف يزول وينقوض من صرحه سواء تحت ضغط انفجارات الوطنية السورية ام بنتيجة تبدل اساسي في اوضاع الدول العالمية الكبرى .

وتخمينات بريطانيا وحساباتها تلك ، كادت تتحقق عام ١٩٤٠

حينما انهارت فرنسا عسكريا وتهدد وجودها من اساسه في حلقات النظام الدولي واصيبت من جراء ذلك القاعدة المادية والادبية التي يستند اليها انتدابها على سوريا ولبنان بطعنة نجلاء فتاكة .

بريطانيا تستغل الفرص لطرد فرنسا

غير ان بريطانيا لم تكن في سعـــة لاغتنام هذه الفرصة اذ كانت بدورها مهددة بالاحتلال الالماني ، اما في عـام ١٩٤١ فقد تبدل الوضع وعرضت على بريطانيا فرصة جديدة لاقتـلاع فرنسا من بلدي المشرق وتحقيق حلمها التقليدي وذلك نتيجـة لاحتلال هذه البقعة من جيوشها على ان ثمة حاجز اخلاقي كان يحول دون قطف الثمرة .

ان قطف الثمرة اي الحلول بصورة مكشوفة محل فرنسا في سوريا ولبنان كان لا سبيـل الى ادراكه الا بالمرور على اجساد هذه البقية من الفرنسيين وهي الخطيئة التي لو ارتكبتها بريطانيا لما اختلفت بنظر الديموقراطية والعالم الحـــر وزناً وقياساً عن « النازية » .

ولكن مع ذلك كان لا بد من انتهـــاز هذه الفرصة الغالية النادرة ولا مندوحة عن ايجاد مخرج ايجابي يتفق مـع الامال التي طالما كانت تدغدغها السياسة البريطانية .

وكان من الميسور والسهل للدبلوماسية التي خنق فيها الوجدان ايجاد هذا المخرج بعد ان اصيبت فرنسا في صميم نفوذهـا التاريخي

والادبي والمادي وذلك باستفزاز سكان سوريا ولبنان وحملهم على المطالبة بالتخلص من الوجود الفرنسي والمكاشفة العنيفة بانهم راغبون في بناء كيانهم السياسي والدولي دون مـــا حاجة الى التعاون في سبيل هذه الغاية مـع هذه البقية الرمزية لدولة اقامت ربع قرن الى جوار ابناء هذه المنطقة .

من فؤاد هذه النظرية استوحى الجنرال السر متيلاند ولسون مناوراته الانفصالية في الجزيرة وجبل الدروز وعلى دعـائم هذه الفكرة اقـام الجنرال سبيرس سياسته وهي سياسة جميـــع الحكومات البريطانية المتعاقبة منذ العهد « النابليوني » .

لقد قلنا في مطلع هذا الفصل من رسالتنا اننا ننظر الى الاجلاء الفرنسي عن سوريا ولبنان ونعني نسبياً في اماطة اللثام عما رافقه من حوادث ومنازعات بين الفرنسيين والانكليز على اعتبـار انه كا مقدمة لهذا التغيير الكبير الذي طرأ فيما بعـــد على الخارطة السياسية والجغرافية للشرق الاوسط وكظاهرة رمزية ذات مغزى بعيد عن التطاحن الدولي في الشرق الاوسط الذي انقلب فيما بعد الى تطاحن انكلو اميركي .

كاترو يشرح الموقف

ولا عضاضة في ان نعـود مرة جديدة الى الجنرال كاترو الذي دون في مؤلف « معركة المتوسط » الفصـل الاخير من مأساة الصراع بين بريطانيا وفرنسا .

كتب هذا الجنرال يقول في الفصل الثلاثين من كتابه المذكور ان الجنرال السر ادوارد سبيرس الذي اصبح وزيراً مفوضاً لدولته والمستشار السياسي للجنرال اوكنلك قائد قوات الحلفاء في الشرق الاوسط اثناء الحرب الاخيرة بالاضافة الى كونه رئيساً لبعثة الارتباط البريطانية لدى الادارة الفرنسية في سوريا ولبنان عقب عودته في غضون عام ١٩٤٢ من لندن رسم لي صورة عن اوضاع فرنسا الحرة في العاصمة البريطانية بحيث ذهبت بي الظنون ان هذه الصورة قد تكون من بنات خياله وان صحت كواقع فما من شك انه ساهم مساهمة كبيرة في ايجادها وتنميتها على اعتبار انها السبيل العملي الفعال لازاحة النفوذ الفرنسي نهائياً من حوض المتوسط وخاصة البلدان التي تقع على ضفافه الشرقية اي في طريق مواصلات الامبراطورية البريطانية الى الهند ومستعمراتها في الشرق الاقصي .

تشرشل وروزفلت يناهضان الحركة الديغولية

ومما قاله لي الجنرال سبيرس ان المستر تشرشل واعضاء حكومته اخذوا ينظرون بكثير من الاسف والندم الى تعاونهم مع الجنرال ديغول وان السبب في ذلك يرجع الى العناد الذي يميز شخصية هذا الاخير ويطبع تصرفاته وان حكومة وشنطن نفسها تشاطر وزارة الحرب البريطانية موقفها هذا من رئيس فرنسا المحاربة حتى ان الاوساط السياسية اللندنية مضت تتساءل ما اذا لم

يكن من الحكمة والصواب الاستغناء عن حركة فرنسا المقاتلة من اساسها اذ ان الغرض الرئيسي من تشجيعها كان يرمي الى الاستعانة بها لاثارة الرأي العام الفرنسي وتعزيز روح واعمال المقاومة ضد الاحتلال الالماني اما وقد اثبتت هذه الحركة انها غير كفء لذلك فلم يبق ثمة مبرر للاستمرار على تأييدها . وكأن سبيرس كان يحاول اقناعي من وراء ذلك بان المستر تشرشل والرئيس روزفلت قد قررا تجاهل الحركة الديغولية ورئيسها وصرف النظر نهائياً عن امرهما .

اهداف السياسة البريطانية البعيدة

وفيما كانت الظنون تتقاذفني وتذهب بي ذات الشمال واليمين وكدت اعتقد ان ما افضي به الي الجنرال سبيرس ليس هو الامن مخترعاته وتعزيز حرب الاعصاب التي تهيمن على علاقاتنا المشتركة فيما كنت اتأرجح فوق هذه الامواج من الظنون اذا بالوقائع تداهمني وتثبت لي ان « سبيرس » فيما اورد بهذا الصدد قد صور تماماً موقف رئيس مجلس الوزراء البريطاني والدليل على ذلك ماالمسناه في الحرب التي شنها البريطانيون على الادارة الفرنسية في سوريا ولبنان اثناء الحملة الانتخابية لاعادة الحياة الدستورية الى هذين البلدين وتدخلهم السافر في قضية مؤسسة الميرة وتنظيمها . ثم الانكى من هذا وذاك ان القوات البريطانية قد احتلت جزيرة مدغسقر في الخامس من شهر ايار عام ١٩٤٢ دون ان ترجع في

ذلك الى الجنرال ديغول عملا بشروط المواثيق المعقودة بينه وبين تشرشل وهي المواثيق التي تقضي في اشراك قوات فرنسا الحرة بكل ما هو على صله في احتلال ارض فرنسية او تحريرها من الاعداء .

اميركا مخيب الفط

وليت الامر وقف عند هذا الحد اذ حينما احتج الجنرال ديغول على هذا التصرف وفاتح تشرشل في شأنه اكتفى رئيس وزارة الحرب البريطانية في الاجابة على احتجاجه انه في انتهاج هذه الخطة قد تبنى وجهة النظر الاميركية التي كانت تذهب الى انه من الاصلح من ناحية عملية عدم اشراك قوات الجنرال ديغول في اية عملية احتلال لارض تسيطر عليها قوات « فيشي » وذلك لتخفيف مقاومتها بشرط ان تقرن ايضاً في الاعتراف لممثلي فيشي بحقوق الاستمرار في الهيمنة على الادارة المحلية .

ولقد كان من الاثار المباشرة لتفرد بريطانيا في احتلال جزيرة مدغشقر اضعاف هذه البقية الرمزية للنفوذ الفرنسي في سوريا ولبنان وبعبارة اوضح بوسعنا القول ان بريطانيا قد قررت نهائياً ازالة اخر وجود عسكري لفرنسا في بلدي المشرق ، وفي هذه المرة بالاتفاق مع الرئيس روزفلت وقادة البيت الابيض ونظارة الخارجية الاميركية .

وفيما كانت الامور تتطور وتتضح على هذا النحو اذا بالمستر

كايزي وزير الدولة البريطاني المقيم في القاهرة يضاعف من ضغطه علي بالحاح من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية انذاك لحملي على تحديد موعد لاجراء الانتخابات النيابية في سوريا ولبنان وكنت اجيب على هذا التوجيه او الضغط الجلي الاهداف ان الخطر الالماني لا يزال جاثماً على منطقة الشرق الاوسط وانه فور نجاح الهجوم المعاكس الذي يعده الجنرال « اوكنلك » وابعاد تهديدات « رومل » وتأمين تموين البلدين المذكورين بالقمح ومشتقاته سوف احدد موعداً للانتخابات واتوفر على اعادة الحياة الدستورية الى هذه البقعة .

انقطاع العلاقات بين ممثلي فرنسا وانكلترا

وفيما كان علي ان اجابه موقف الوزير « كايزي» اذا بالعلاقات تنقطع فجأة بيني وبين الجنرال سبيرس وذلك بنتيجة عبارات نابية وجهها الي من ممثل الدبلوماسية البريطانية في بيروت عن طريق احد اعواني لرفض استشارته في تبديل جهاز وزاري في لبنان انذاك .

فقد اضطررت بحكم هذا الوضع الجديد ان ارجع شاكياً الى المستر كايزي وما صارحته به ان الخطة التي يتبعها الجنرال سبيرس انما تهدف جهراً ودون ما غموض وابهام الى ازالة النفوذ الفرنسي بصورة مبتذلة مقيتة تجرح الكرامة التاريخية عن هذه الضفة من المتوسط الشرقي وان الابقاء على الجنرال سبيرس في بيروت يعتبر

بمثابة عامل قوي لتشجيع الفوضى ونشر الاضطرابات اذ اوجدت تصرفاته المفضوحة قناعة في نفوس مواطني سوريا ولبنان ان الدولة البريطانية قد اعتزمت بشكل قاطع التخلص من فرنسا . وان كل امل في العودة الى التعاون بين الادارة الفرنسية ورئيس بعثة الارتباط البريطانية قد فقد .

كايزي يغير بطاقته

اعترض المستر « كايزي » على قراري هذا بحراجة الحالة الحربية واخطارها وبما قاله بالحرف الواحد : اننا لسنا في حاجة الى الزيادة من اسباب التوتر في ازمة الشرق الاوسط وان اتخاذ مثل هذا اللون من النزاع بيني وبين سبيرس سيسيء حتما الى الاستمرار الطبيعي في مواصلة العمليات الحربية .

فلم يكن لي تجاه هذه المجموعة من الاعذار والمبررات مندوحة عن الانصياع ولكنني اشترطت لاستئناف التعاون مع وزير بريطانيا المفوض في لبنان وسوريا ان يكف نهائياً عن التدخل في شؤون البلدين السياسية وان يظل منكمشا ضمن دائرة صلاحياته . واني اتعهد بدوري على اعتبار الصلة القائمة بين المشكلة السياسية والعمليات الحربية باطلاع الجنرال سبيرس على كل ملابسة من ملابساتها قبل اتخاذ اي قرار بشأنها على ان يحجم كما اسلفت عن كل تدخل مباشر في شؤون الحكومتين (اي سوريا ولبنان) الا فيما يتناول المصالح البريطانية البحتة . وقد اجابني الوزير البريطاني المقيم

في القاهرة على هذا الاحتجاج الشديد بكتاب خطي جاء فيه ان وزير بريطانيا المفوض لدى سوريا ولبنان اكد له ان خطته لا تهدف بوجه من الوجوه الى ازاحة فرنسا عن هذه البقعة وان التوجيهات التي زودته بها حكومته تناقض اتهامات وظنون الجنرال كاترو وان سياسة بريطانيا في هذا المضمار مازالت كما حددها ورسم خطوطها المستر تشرشل في التصريحات التي ادلى بها امام مجلس العموم في شهر ايلول من عام ١٩٤١ .

نهاية الوجود الفرنسي في سوريا ولبنان

هذا ما تستر به الجنرال سبيرس واختبأ خلفه ولكنه في الواقع ظل ممعناً في تنفيذ خطته السرية بتأييد من تشرشل وجميع دوائر الانتليجانس سرفيس وفي تأييد ايضا من الدبلوماسية الاميركية الى ان تم له اخـــراج اضخم مؤامرة بريطانية على النفـــوذ الفرنسي في حوض المتوسط والى ان تم له ايضاً وايضاً التلذذ في مشاهدة اخر جندي فرنسي يركب البحر من هذا الشاطيء دون وداع والى حيث لا رجعة !

تمخضت امبرطاورية انكلترا فولدت اسرائيل

فيما كانت مراكب الاجـــلاء الفرنسي وبواخر شحن النفوذ اللاتيني تقلع مراسيها من مياه العاصمة اللبنانية لتقتلع معها هذه الحفنة الرمزية من اثار الاستعمارية القائمة على الاحتلال العسكري فيما كانت هذه المراكب والشاحنات تتلفت الى الوراء قبل ان

تهم في شق عباب المحيط لتتأكد بام العين ان الحلم البريطاني قد استحال الى حقيقة وخرج حياً الى الوجود وان فرنسا نفسها التي فرضتها معاهدة سان ريمون وصية على سوريا ولبنان بعد ما بذلت من جهود ضخمة واسعة جبارة هي التي وقعت بيدها وثيقة الاجلاء واسدال الستار العتيم النهائي على الوجود الفرنسي فوق شواطيء شرقي المتوسط .

بينما هذه الشاحنات كانت تمتد في اعماق اليم حزينة ثكلى ، تنقل بين عنابرها رفات احدى الاستعماريات العسكرية لهذا الجزء من الشرق المنكوب ، كانت المشادة قائمة عنيفة صاخبة بين لندن وواشنطن حول كيفية وشروط اجهاض الدولة اليهودية في فلسطين .

بريطانيا تنال ترضيات كبيرة من اميركا

لتوافق على الجلاء عن فلسطين وقيام اسرائيل

لقد كان الاجلاء الفرنسي عن هذه الرقعة من الشرق الادنى اولى المراحل العملية التكوينية لتوليد اليهودية العالمية دولة اسرائيل .

كانت «لندن وواشنطن» على خلاف بالغ مفرط في الشدة حول طريقة اجهاض الام الصهيونية .

الولايات المتحدة تصر على ان تصبح اسرائيل المنتظرة ، قاعدة لها وحدها وبريطانيا تسكب دموع التماسيح في تسليمها بمثل هذه التضحية وتتظاهر بالنواح والعويل على ضياع ثلاثين عاماً في عشرة

عرب فلسطين ولكنها مع ذلك تنزل صاغرة عند تجني ودلال اختها السكسونية ، صاغرة تمثيلياً اذ نالت كومة لا بأس بها من الترضيات .

من هنا بدأت خيوط المؤامرة الكبرى على التعديل التقسيمات السياسية في الشرق الاوسط تنعقد سحباً فوق آفاقه .

ومن هنـــا انطلقت اطراف اخطبوط دوائر الجاسوسية الانكلو اميركية الى المسرح السياسي في العالم العربي .

فاندفعت هذه الجاسوسية القاسية الضارية بما عندها من امكانيات مادية وخفية تعمل على وضع الحجر الاساسي في تشييد الدولة اليهودية . فدشنت مشروعها الاستعماري الجديد هذا ، في اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة وقالت في ذلك انه قضى ضحية التعصب الصهيوني ،

اضخم مؤامرة عرفها الشرق الاوسط

ثم اتبعت هذه الحلقة من سلسلة اضخم مؤامرة عرفهـا الشرق الاوسط والعالم العربي خلال الفترة التي تلت الحرب الثانية بنشر موجة من الارهاب اليهودي في فلسطين كان من اولى ظاهراتها اهانة الكرامة البريطانية بكل وجه من وجوهها في هذا القطر .

ومع ذلك فان بريطانيا العظمى المشهورة بكبريائها وتيههـــا وعجرفتها ، بريطانيـــا التي مر يوم لا تغيب فيـه الشمس عن امبراطوريتها سلمت تحت الضغط الاميركي مقابـــل ترضيات استعمارية معينة سنتحدث عنها فيما بعد وقد مهد لها بالاجلاء الفرنسي

كما ذكرنا سابقاً بان تقدم العصابات اليهودية على تعليق سبعة من جنودها بين جذوع الاشجار ونسف فندق الملك داود بمن فيه من انكليز واجانب ، ثم هذه الحركة المتصلة المستمرة من التقتيل والارهاب والتفظيع والتمثيل ، نعم سلمت بذلك كله على ان المهم هو ان تنجح في توليد اليهودية العالمية اسرائيل هذه والتخلص مؤقتاً من الضغط الاميركي والصهيوني معاً .

مسرحية مشروع تقسيم فلسطين
والايعاز الى زعماء العرب في رفض هذا المشروع

كان لا بد — لاتمام هذه المأساة — من مسرحية جديدة . فاوعزت الدبلوماسية البريطانية بالاتفاق التام مع اختها السكسونية (اميركا) الى « بنتها » المشتركة الملقبة بمنظمة الامم المتحدة افتعال تسوية للنزاع اليهودي العربي في فلسطين تفاهموا على « تعميدها » بتقسيم هذا البلد الى دولتين يهودية وعربية ، اي لبلد لا يتجاوز عدد سكانه المليون وبعضه ولكنها اوعزت في ذات الوقت الى عملائها في الدول العربية من ساسة وقادة وزعماء برفض هذا المشروع وفي التظاهر بخوض حرب ضد اليهود في سبيل احباطه .

فكان ان الضجيج المسرحي حول هذا الموضوع من الاحكام والدقة بحيث احتل مكان الصدارة من مشاغل العالم ثلاث سنوات متتابعة . ومع ذلك فقد ولدت اليهودية العالمية فتاتها اسرائيل

وكانت بريطانيا في مقدمة المتحمسين للاجلاء العربي في هذه المرة عن فلسطين !

كيف ولدت الجامعة العربية ؟؟

وما هي اسرار ولادتها ؟؟

ان بريطانيا التي يرجع الفضل في استمرار تاريخها الامبراطوري الى حرصها واستنفاذ جميع وسائلها لفرض توازن القوى في المجالات الدولية والاقليمية ، كانت تقتنع اقتناعاً راسخاً متيناً منذ اليوم الاول الذي فاضت فيه الحرب الكونية الثانية ودعمت مبدئياً وعملياً من امكانيات اليهودية العالمية المالي منها والسياسي ، وكان من اولى ظاهرات هذا التأييد حمل الولايات المتحدة على نصرتها وذلك بوضع الوجود الكامل لهذه المجموعة من دول نصف القارة الغربي تحت تصرف مقتضيات حماية النفوذ الانكلوسكسوني في العالم من الوثبة الجرمانية ومطامع نظام النازية الهتلرية ، ان بريطانيا كانت متأكدة بالنسبة للالتزامات التي ارتبطت بها مقابل ما اوردنا من اسباب ان مع اليهودية العالمية ام مع الولايات المتحدة ان لا بد من تحويل فلسطين الى دولة يهودية وبالتالي قاعدة نفوذ للولايات المتحدة . فتمشيا وسياسة حفظ التوازن ، كان عليها ان ترد على ارغامها لاقامة دولة يهودية في فلسطين على انقاض الحقوق العربية بشرطين : الاول منهما توجيه الدويلات العربية نحو الانتظام في جامعة تخضع من الناحية الواقعية لوحيها وارادتها وثانيا مقاومة كل احتمال لتسوية يهودية عربية بعد انشاء هذه

الدولة فكان من جراء هـذا الترتيب الدقيق المحكم ان تولت بريطانيا بنفسها عملية الاجلاء العربي عن فلسطين وقد قصدت بذلك الحؤول دون تحقيق اي امن باستقرار اجتماعي شامل في الشرق الاوسط .

دور بريطانيا في اقامة اسرائيل

ولدت الجامعة العربيـة في ذات الوقت الذي كان فيـه على بريطانيا بعد ان تأكدت من ربح الحرب الثانية ان تعمـل جادة على تأسيس اسرائيل تسديداً منهـا لتعهداتها نحو اليهودية العالمية والكتلة الدولية لاميركا الشمالية معاً .

سيراً ، كما قدمنا على خطة صيانة التوازن في المجالين الاقليمي والدولي مهد الى التسليم من الناحية البريطانية في اقامـة اسرائيل بتأسيس الجامعة العربية .

احدثت هذه المنظمة الاقليمية التي انتظمت فيهادويلات العرب واحيطت بهالة من مظاهر الاستبشار والتفاؤل ، والتمجيدوالامال والتمنيات .

وكان على السياسة البريطانية ان تعمـل في ذات الحـين على توفير الاسباب لاحداث اسرائيل .

دور عزام باشا في توجيه سياسة الدول العربية

اوكلت مقدرات الجامعة العربية الى شخصية امينة من ولائها للسياسة البريطانية وعهـد بالاتفاق بين مختلف ممثـلي الدول

والحكومات العربية في المجلس العام لهذه الجامعة الى السيد عبد الرحمن عزام — الذي اصبح فيما بعد عزام باشا — ثم كلف الجنرال « كلايتون » اداء مهمة الارتباط لحساب حكومة لندن بين الامانة العامة للجامعة العربية التي يتولى امرها عزام باشا كما اسلفنا و بين وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانيـــة والادارة المركزية لدوائر الانتليجانس سرفيس في لندن ▪

مهمة الجنرال كلايتون

والجنرال « كلايتون » هـذا لم يكن له من عمل في الشرق الاوسط الا التمرس بمهـــام رئيس دوائر المخابرات العسكرية السرية لهذه المنطقة لحساب الجهاز المركزي في العاصمة البريطانية هذا بالاضافة الى كونه سمي تسمية رسمية ضابط ارتبـــاط بين الامانة العامة للجامعة العربيـة في القاهرة وبين وزارة الخارجيـة البريطانية .

كان على الجنرال كلايتون هذا الصديق الجديد للقضية العربية الذي لا يقل حماساً واندفاعـاً في سبيل حركتنا الاستقلالية والتحريرية عن سلفه « لورانس » حامل المعول الاول في تقويض الوجود العربي والذي مكن التفـاهم بين شخصية عربية مسؤولة كبيرة جداً وبين الدكتور حايم ويزمن حول ضرورة التسليم بانشاء دولة لليهود في فلسطين ، ان الجنرال كلايتـون المتعصب العنيف للقضية العربية عامة ارغم صديقه الاول السيد عزام الامين العـام للجامعة العربية على توجيه سياسته بشرط خوض حرب ضد اليهود

على ان لا يتم تحقيق مشروع التقسيم ولو افضى ذلك الى تظاهرة بريطانية في تبني حركة الاجلاء العربي عن فلسطين .

وازاء كل اعتراض شكلي من السيد عبد الرحمن عزام على المضي في تنفيذ هذه الفكرة والسير في تحقيق مشروع من تلك الخطورة كان جواب الجنرال كلايتون ان كل شيء قد رتب وانك قد تضطر لمقاومة البعض من البريطانيين النافذين انفسهم حتى ومن اصدق الاوفياء بين اصحابنا .

مسرحية عرب فلسطين

واما خوض الحرب ضد اليهود ومناهضة مشروع التقسيم فهما امران لا بد عنهما وسوف يتخذ ما ينبغي لاثارة الرأي العام العربي في حماس شبابه احتجاجاً على توزيع فلسطين بين دولتين عربية ويهودية .

والغريب في الجنرال كلايتون هذا المؤذن من اكبر مرجع في الامبراطورية البريطانية للتعهد والارتباط ، الغريب فيه انه تعهد بمد الدول العربية في حربها مع اليهود بجميع ما تحتاجه من اسلحة .

وفيما كان رئيس الانتلجانس سرفيس وجميع اجهزته في الشرق الاوسط يعد العدة عن طريق الجامعة العربية التي تنظم سبع دول الوقوف بوجه مشروع تقسمة فلسطين باي ثمن ، كان نسيبه وقريبه طبعاً في اداء السجود للدائرة المركزية للانتلجانس

سرفيس ، كان كاوب باشا الحاكم الفعلي لشرقي الاردن ومؤسس جيشها ، يتولى الايعاز الى اصدقائه من القيمين على مقاعد الحكم في العالم العربي بقبول مشروع قسمة فلسطين وان الدول العربية ليست على استعداد للدخول في معركة حربية جديدة ضد اليهود .

دور كاوب باشا في المؤامرة الفلسطينية

والنزاع بين نوري السعيد والحاج امين الحسيني

وكان الجنرال كاوب باشا من حسن الاستعداد لمعالجة المشروع البريطاني الامبراطوري الجديد على الرغم من تعاقيده وتعاريجه بحيث اثار من النزاع اشده جدية بين الحاج امين الحسيني والسيد نوري السعيد الذي نادى في احدى جلسات مجلس الجامعة ان عدم القبول بمشروع التقسيم ليس هو الا انانية ومحاولة متعمدة لاشباع مطامع معينة معروفة .

ورد على موضوعه انئذ أن لا بـــد من خوض الحرب ولا مندوحة عن الضرب بقبضة فولاذية على دسائس كاوب باشا للنيل من اعصابنا ، فسنخوضها مهما كلف الامر .

وفي الواقع ان التسوية بين التـوازن الانكلو اميركي من حيث توطيد النفوذ البترولي والاستراتجي والسياسي والاقتصادي كان لا بد لاتمامها من هذه الالتفافة

خاض العرب الحرب ضـــد اليهود وركزت مدافعهم على مسافة بضعة اميال من تـل ابيب بجوار مستعمرة « ملبس » التي تبعد اثني عشرة كيلومتراً عن عاصمة صهيون فقطـع عنهم الامداد البريطاني فوراً من سلاح وذخيرة وفرضت عليهم الهدنـة الاولى وكان بعد ذلك ان دفعت دويلاتهم الى استئناف معركة ثانيـة ، وقصد من استئنافها ان يكرس هذه المرة . ميلاد الدولة اليهودية النفوذ الاميركي في الشرق الاوسط .

شكري القوتلي يتوسل الى النقراشي

برفض الهدنة الثانية

واما الجواب على ذلك فيلخص في ان السيد شكري القوتلي وقد كان رئيساً للجمهورية السورية وبحضـور الرئيسين رياض الصلح وجميل مردم اخـــذ يبكي متوسلا المرحوم السيد فهمي النقراشي رئيس الحكومة المصرية في ذات الوقت وممثلها في اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ان يؤيده في رفض الهدنة الثانيـة مع اليهود فاجابه (السيد النقراشي) « ان سفير الولايات المتحدة في القاهرة قد سلمني مذكرة صيغت بشبه انذار بين قبول النصح الاميركي في التسليم بهذه الهدنة وبين الخروج على الصداقـــة الاميركية وانني تجاه هذا الضغط الصريح لا استطيع كرئيس لحكومة مصر ان اشجع ازمة في حسن العلاقات بين البلدين لاسيما

وان مصر هي على احرج الحلات المتعقدة مع بريطانيا »

فكان النقراشي رحمه الله جلياً واضحاً وعنيفاً في صراحته اذ رفض كل محاولة لاقناعه بعدم قبول الهدنة الثانية مع اليهود ، هذه الهدنة التي عضمت اجماعاً بالرغم عن دموع السيد شكري القوتلي ، فانبثق من هذا الاضطراب المفتعل قيام اسرائيل وربحها المعركة ضد الدول السبع ومفاوضات جزيرة « رودس » ثم تواري الجنرال كلايتون نهائياً واستغراب كلوب باشا واتخاذ التنافس الانكلو اميركي الاوجه السافرة في صراعه .

الضغط الاميركي اجبر العرب على قبول الهدنة الثانية في فلسطين

وعلى ذلك نستطيع القول ان الهدنة الثانية التي اكرهت القوات العربية على اعلانها في فلسطين والتوقف عن متابعة القتال ضد اليهود كانت نتيجة للضغط الاميركي الشديد على دول الجامعة عن طريق مصر. ومما يروى في هذه المناسبة — على وجه التأكيد — ان السفير الاميركي في القاهرة قد انتقل طائراً من العاصمة المصرية الى عاليه « المصيف اللبناني المعروف » حيث كانت تواصل اللجنة السياسية لمجلس الجامعة عقد اجتماعاتها ، واختلى بالسيد فهمي النقراشي على مشهد من السادة : شكري القوتلي ، رياض الصلح ، جميل مردم في الساعة الخامسة من يوم التاسع والعشرين من شهر تموز عام ١٩٤٨ وابلغه ان الرئيس ترومان يعرض على الحكومة

المصرية مقابل صداقة الولايات المتحدة مساعدتها في اقناع اللجنة السياسية للجامعة العربية بقبول الهدنة الثانية مع اليهود ، وان حكومة وشنطن سوف تعمل جادة لقاء تقبل توجيهها هذا ، على مساندة العالم العربي في حل مشكلاته المعلقة مع بريطانيا وغيرها من الدول الغربية ولم يفت السفير الاميركي في هذه المناسبة ان يذكر السيد شكري القوتلي بعد انتهاء حديثه مع « النقراشي » ان الاجلاء الفرنسي عن بلدين عربيين في الشرق الادنى وهما سوريا ولبنان وتحريرهما من الاحتلال العسكري الاجنبي — جاء الى حد بعيد — نتيجة للتدخل الاميركي وضغطه الدبلوماسي ثم الى ما هنالك من تعليقات استتبعت هذا الحديث .

مصر ترضخ للضغط لاعتبارات دولية

فلم يكن من السيد النقراشي عندئذ الا ان واجه اللجنة السياسية بقراره الخطير — وقد دعمه في ذلك اكثر من ممثل لدولة عربية واحدة — وهو القرار الذي تضمن القول : « ان مصر بين احد امرين ، اما الخروج على العقد العربي والتفرد في انتهاج السياسة التي تلائم مصالحها الخاصة من اقليمية وخارجية واما التسليم المشترك بالمطلب الاميركي وقبول الهدنة الثانية ولو كان في هذا الرضوخ تحمل اضخم التبعات .

فكان رئيس وزراء مصر حينئذ وللسفير الاميركي من ورائه ما ارادا اذ وجد اعضاء اللجنة السياسية للجامعة العربية انفسهم

امام الخيار بين الحفاظ على الصداقة الاميركية ومـــا فيها من اغراءات مختلفة وبين قبول الهدنة الثانية او رفضها فكان لا بـد لهم من ايثار اهداف الضغـــط الاميركي المؤيد في ذات الوقت بالدبلوماسية البريطانية والسوفياتية على اي اعتبار قومي مهما علا وسما . وخلاصة القول ان في الهدنة الثانية قد استكملت اسرائيل اسباب مقومات كيانها كدولة مستحدثة من جميع الوجوه تضاف الى مجموعة دول الشرق الاوسط .

وفي قرار اللجنة السياسية ايضاً بقبول الهدنة الثانية فتـــح صفحة جديدة في الجهاز العام للكيانات الدولية في هذه البقعة .

الصراع الدولي الخطير

حول اقتسام مناطق النفوذ

ليس المهم هنا ان نبحث في موضوع قيام الدولة اليهودية على اعتبار انها حادثة مستقلة في ذاتها ولكننا اتخذنا من العرض اليهـا دلالة على الصراع الخفي القائم بين الدول الكبرى حـول اقتسام مناطق النفوذ في البلدان الواقعة على الخط الشرقي للبحر الابيض .

بيد ان مبدأ الاستطراد في معالجة مثـل هذه القضية الخطيرة يجرنا الى التساؤل عن هـــذا السر الغريب في ان نرى كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من جهـة بالرغم من ان هذه الاخيرة تعرف جيداً ان تصفية نفوذهـا في سوريا ولبنان كان مقدمة لقيام اسرائيل ، نقول ان مبدأ الاستطراد في دراسة هذا

الامر الجلل يحملنا على التنقيب عن مفتاح اللغز في ان نرى للمرة الاولى يتفـــاهم المعسكران الغـربي والشرقي على انشاء دولة كاسرائيل بدلت وجه النظام السياسي العام في هذه المنطقة الحيوية الحساسة من العالم .

معلومات سرية لم تنشر بعد

الواقع ان احداث اسرائيل في وسط هذه الرقعة العربيـــة الصرفة لم يكن صنيع الارادة الدولية ومصالحها وتفاعلات نزعاتها فيما بينها منفصلة عن الرغبات اليهودية العالمية ولو ان ظاهرات ذلك جاءت تحمل على مثـــل هذا الاستنباط ، بل انه ولد من قوة النفوذ اليهودي المتحكم في مقدرات كل من المعسكرين ، اي الشرقي والغربي ومن حاجته لاحداث قاعدة ثابتة لمطامع اليهودية العالمية في مختلف الوانها من صهيونية وغيرها تستطيـع الارتكاز عليها في تغذية وتطبيق مؤامرتها الجديدة التي سوف تكون بداية اخراجها وتجسيدها في اشعال نيران حرب ثالثة .

كانت الدولة اليهودية قائمة دون ما شك في ذلك ، قبل ولادة اسرائيل ولكنها لم تكن قائمة في رقعة واحدة محدودة بل انهـــا منتشرة موزعة في كل بقعة من اجزاء العالم العامر .

نفوذ اليهود قائم في كل مكان

ولقد كتب البحاثة الروسي المعروف الاستـــاذ « سرجي نيلوس » في ذلك يقول :

ان نفوذ الدولة اليهودية العالمية قائم في كل مكان وذلك عن طريق جمعيات اليهود الدينية والسياسية والماسونية السري منها والعلني ، ونساؤهم وخداعهم وبذر بذور الفتنة بين الهيئات المختلفة في كل قطر وفي العالم معاً واشرافهم على الصحافة ودور النشر ووكالات الانباء ومذاهب العلم والفلسفة والفن والمسرح والسينما والمدرسة ونظم التعليم والبنوك والشركات والبورصات وكل منابع الثروة ومواردها في معظم البلاد واحتكار الذهب ونظمهم السرية التي لا يعرف اهدافها الا فئة ضئيلة من عظام حكماء صهيون وينفذ كبارهم وصغارهم خططها تنفيذاً دقيقاً » .

ثم كتب سياسي كبير يبحث هذا الموضوع فقال :

ان الذين يقصرون الخطر اليهودي او خطر الدولة اليهودية على هذه الرقعة الضئيلة في فلسطين — او على الشرق كله — قوم لا يفهمون احداث التاريخ وتياراته وروحه ولا يفطنون الى الحقيقة اليهودية

هدف اليهود السيطرة على العالم

ان اليهود لا يمكن ان تتأدى بهم الغفلة وهم يؤسسون اسرائيل في فلسطين او اقطار الشرق الاوسط ، الى صد نزوحهم جميعاً عن العالم وتكدسهم في هذه الدولة وان كل ما يهدفون اليه هو اتخاذها مركزاً يتدفق اليه ذهبهم ويسيطرون منه على التجارة العالمية بين الشرق والغرب وينشرون منه المكائد التي تطيح

بالعوائق ضد تسلطهم على العالم ، هذا مع احتفاظهم في انتشارهم فوق اقطار الارض كما هم الان ليواصلوا استغلالها والتحكم بمصائرها فمن ضاق به العيش في البلد الذي نكب بوجوده هجره الى هذا الوكر الجديد .

هذا وتلمس حقيقة الدولة اليهودية وقوة نفوذها وتغلغله ومداه في سيطرتها على اقتصاديات الدول الكبرى كاميركا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وعلى كثير من الدول الصغرى وتسلطها على حكوماتها ومذاهبها من اجتماعية وسياسية وعلمية ومن اساليب تثقيفية . »

هذا ما قاله باحثان معروفان يلمان الماماً دقيقاً في خفايا الخطر اليهودي ولقد قصدنا من ايراد ما جرى على قلمهما في هذا الصدد التدليل كما اشرنا الى ذلك في موضع آخر من هذه الرسالة الى ان اسرائيل وان اتخذ قيامها شكل التزاحم الدولي حول مفاتيح الحياة في الشرق الاوسط وخاصة بين اميركا وبريطانيا ولكنه في الواقع كان نتيجة لرغبات الدولة الكبرى التي نسميها باليهودية العالمية .

لماذا تؤيد روسيا اسرائيل ؟ ؟

واما انضمام الاتحاد السوفياتي لاول مرة خلال فترة ما بعد الحرب الثانية الى المعسكر الانكلو اميركي في وضع نواة الدولة اليهودية فيزول كل سبب في استغراب تفسيره اذا ما عرفنا ان

المكتب السياسي الحزب الشيوعي اي الحزب الحاكم يتألف من سبعة عشر عضواً منهم اربعة عشر يهوديا وثلاثة زوجاتهم يهوديات يدورهن ولا بأس هنا من تدوين اسمائهم اي اعضاء المكتب السياسي المذكور : « ستالين ، كاجانوفتش رئيسه ، بيريا ، فورشيلوف ، مولوتوف شيفرنيك ، كيرسبستين ، جوركين ، ايليا ايرنبورغ ، ريفنسكي ، جينسبوغ ، ميخليس ، فرمين ، جودي ، لوزنسكي ، كافتانوف ، بير ليفتسكي ان هؤلاء جميعهم من اليهود الاقحاح باستثناء ستالين وفورشيلوف ومولوتوف ومع ذلك فان زوجاتهم يهوديات .

وهنالك طائفة من المحققين والبحاثة في شؤون السياسة الدولية وقد تولد فيما تيسر لهم من معلومات كشف النقاب الى حد ما طبعاً — عن هذا السر العميق الذي يسهل لليهودية السيطرة على توجيه دفة السياسة العالمية .

الشرق الاوروبي يخضع السيطرة اليهودية

ومما جاء على لسان احدهم ان الشرق الاوروبي يخضع بفضل تنسيقه السياسي الجديد للسيطرة اليهودية اذ ان المكتب السياسي البولوني للحزب الشيوعي الذي يتمرس عملياً بمسؤولية الحكم في بولونيا يضم احد عشر عضواً منهم سبعة يهود في حين ان الرأي والكلمة في رومانيا يرجعان لوزيرة خارجيتها آنا بوكر ، اليهودية

المعروفة بخبرتها والمامها ببواطن السياسة العالمية والتي عزلت اخيراً من منصبها لاسباب ما تزال مجهولة واما في المجر فان اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المسيطر يعدون خمسة جميعهم من اليهود الخلص وما قيل عن هذه وتلك من دول شرقي اوروبا يقال ايضاً عن تشكسلوفاكيا اذ ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي الذي يضم ثمانية اعضاء بينهم خمسة يهود وقد نرى في ذلك السبب هذا الوضع الحماسي السري الذي اظهرته تشكسلوفاكيا الحديثة في تسليح اسرائيل وخاصة بالطائرات وفي وضع انتاج معامل سكودا: تحت تصرف حاجاتها العسكرية والحربية .

النفوذ اليهودي متغلغل في جسم الامبراطورية البريطانية

عفوا ليست روسيا واتباعها من دول الشرق الاوروبي هما المتأثران وحدهما بنفوذ اليهودية العالمية ومشتقاتها الى هذا الحد ، بل ان سياسة الامبراطورية البريطانية نفسها ترضخ صاغرة لسلطة اليهود الخفية في جميع اشكال الرضوخ وصوره وحسبنا الاقتناع من صحة ذلك والاطمئنان الى واقعيته ان ثمانين عضواً من مجلس العموم هم من اليهود عدا صنائعهم ثم عدا بسط سلطانهم المطلق على مفاتيح الحياة المالية في جزر الانكليز واجزاء الامبراطورية وهنالك نظرية لاحد الساسة تذهب الى ان تمسك الامبريالزم العسكري البريطاني بصرف النظر عن كل اعتبار استراتيجي الذي لا يعدو دوره النطاق الثانوي بعدم الجلاء عن قناة السويس وفي

قبول استمرار المشكلة المصرية انما يعود في تفسير عوامله البعيدة الى الضغط اليهودي وذلك لسببين رئيسيين احدهما ان دزرائيلي اليهودي الاب والام وقطب الاستعمار البريطاني ورئيس وزراء بريطانيا سابقاً قد ابتاع اسهم هذه الاخيرة في قنـــاة السويس بالذهب اليهودي وباموال البارون روتشيلد وان اسرائيـل ولو سلمت ظاهراً بالانحياز الى السياسة الاميركية ، لكنها تعـارض عمقاً في كل انسحاب لبريطانيا عن القناة الا اذا استبدل الانكليز هذا الموقع بغزه او العقبة الامر الذي يجعل القوات البريطانيـة بسعة عملية في اي لحظة من الدفاع عن كيان اسرائيل ضـد كل تكتل عربي عسكري يـــلد عن الدوافع القومية او تحولات السياسة الدولية ومفاجآتها .

سيطرة اليهود على الولايات المتحدة

وفيما يتصل بمدى الانتشار اليهودي في الاجهزة التي تسيطر على اداة الحكم في الولايات المتحدة فحسبنا في هذا الصدد الاشارة الى ان البيت الابيض يضم بـين جدرانه طائفـــة من المستشارين الاكثرية الساحقة فيهم ترجع الى اصل يهودي والى الكونغرس ذاته يضم بين مقاعده العديد من رجال الاعمال وكبار المتمولين اليهود هذا ناهيك عن ان كل مرفق من مرافق الحيـاة الانتاجية والاقتصادية في مدن اميركا الرئيسية يخضـع مباشرة للاشراف اليهودي

فلا عجب بعدئذ اذا ما رأينا المعسكرات الدولية على تباين الوانها ونزعاتها وخلافاتها تتفق فيما بينها لمرة واحدة واخيرة على تأييد ودعم احداث اسرائيل .

تركيا . ولماذا تؤيد اسرائيل

واما عن تركيا هذه الدولة الاسلامية التي استغرب الرأي العام العالمي انتصارها لقيام اسرائيل على حساب مصالح العرب القومية وما استتبع ذلك من نشوء مشكلات تعرض فيها هؤلاء لكثير من الاجحاف والغبن ، فتفسير ذلك نجده فيما كتبه الباحثة الروسي الاستاذ سيرجي نيلسون اذ قال ما خلاصته : « ان موقف تركيا تجاه العرب واليهود لا يشرح الا باتساع نفوذ هؤلاء وتغلغلهم عميقاً في مواطن تسيير السياسة العليا لهذه الدولة . أذ لو بقيت الخلافة العثمانية لما كتب باي شكل من الاشكال قيام دولة لاسرائيل في قلب هذا الحضم العربي الاسلامي . ولو عرفنا من الوجهة التاريخية ان بريطانيا خلال الحرب العالمة الاولى كادت تعقد صلحاً منفرداً مع تركيا .

اليهود سبب انهيار الخلافة الاسلامية

ان الضغط اليهودي الذي مثل بالدكتور « حاييم ويزمن » حينئذ هو الذي حال دون ذلك وهو الذي ادى الى انهيار الخلافة الاسلامية وتشجيع الحركة الكمالية التي دعمها مسلمو سلانيك

(اليهود الاصل) والذين يعرفون (بالدوكا) لو عرفنا ان حاييم نحوم حاخام اليهود حالياً في مصر هو الذي كان بين كبار ممثلي الوفد التركي في مؤتمر لوزان الى جانب « عصمت اينونو » لو ذكرنا ان كمال اتاتورك عرض عليه ان يكون سفيراً لتركيا الحديثة في وشنطن ، لو تأملنا بعمق واستقامة في التفكير الى هذا كله بالاضافة الى التأكد ان اليهود هم الذين يسيطرون منذ نشأة تركيا الحديثة على ماليتها واقتصادياتها لما استغربنا بعد ذلك تأييدها وحماسها لانشاء دولة اسرائيل في بلد عربي كفلسطين له قدسيته من الوجهين الاسلامي والمسيحي .

والاغرب من هذا ان الاتراك لم يقفوا في اندفاعهم لتنمية اسرائيل عند هذا الحد بل هم الذين يقومون بقسط كبير بمدها بالوفير من حاجاتها من المواد الغذائية والاستراتجية ومختلف انواع الاسلحة ومساعدتها على تحطيم الغاية من الحصار الاقتصادي الذي ضربه العرب حولها بعد ان حال التأثير الدولي دون قيامهم باي عملية حربية لنسف نواة الدولة اليهودية التي اخذت تتطلع بشره الى كل افق من آفاق الشرق الاوسط .

لم تقاتلهم الدول الكبرى

الا على قيام اسرائيل

المهم هنا بعد ان استندنا الى الوقائع التي لا سبيل الى الجدل

في صحتها في ان تفاهم الدول الكبرى وتأييدها اسرائيل على ما بينها من خلافات ضخمة اساسية حول موضوع مشكلات الساعة في السياسة الدولية انه نتيجة لمدى السيطرة التي يفرضها اليهود على مواطن التوجيه العام في تلك الدول ، المهم هو ان نعود في الفصول القادمة الى استعراض ما نتج عن قيام اسرائيل من تيارات واتجاهات دولية في الشرق الاوسط مع الاحتفاظ بالاعتبار المبدئي ان تأسيس هذه الدولة واستحداثها لا يخلو من دليل جديد ومن اكثر من برهان على هذا الصراع الذي يتكامل بين دولتي امريكا وبريطانيا .

الجيل العربي الجديد بدأ يستيقظ

كان من البديهي بل ومن المرتقب الضروري ان يستقبل الشعور القومي في الجماهير العربية قيام اسرائيل وما رافق اصطناعها من اعمال العنف التي بلغت الوحشية في كثير من اغراضها ، كان من المتوقع اللزامي ان يستقبل الوعي الوطني في الجيل العربي الناشيء ارتجال هذه الدولة من بطن اضخم مؤامرة دولية عرفها التاريخ الحديث باشد مظاهر الاستنكار والنقمة وبسخط تتأجج بين ثناياه جذوة الكراهية والبغضاء لكل ما هو اجنبي ولكل ذي صلة بالسياسات الاجنبية مما اسفر بطبيعة الحال وبدافع الخجل عن تواري اكثر من حكومة في عواصم العرب وافضى الى اغتيال اكثر من سياسي مسؤول واحد اشترك في تشجيع هذه المؤامرة

الاستعمارية الملحدة التي نظمتها الدول الكبرى نزولاً عند ضغط الصهيونية العالمية وانتهت بافراز اسرائيل من عتمتها . وقد يكون مقتل المرحوم محمود فهمي النقراشي رئيس حكومة مصر السابق الذي بلغ من التأثر بالضغط الاميركي درجـة بحيث فرض تبني الهدنة الثانية والتوقف عن الحؤول دون قيام الدولة اليهودية وما تبع تصفية من صرع من شخصيات عربية اخرى ليس بغريب عن نقمة الوعي القومي في الجيل الجديد .

كلا ان شعور الكراهية والنقمة والازدراء لم يقف عند هذا الحد بل انطلق بعيداً وتفجر عن ظاهرة سوف تلعب دوراً حاسما في تحديد الوجهة الجديدة لمصير التاريخ العربي الى اجيال بعيدة

الجيش السوري الباسل امل الامة العربية

ومن حق الجيش السوري ان يكون موضوع هذه الظاهرة التي اشاعت الامل ونفخت الحياة في النفسية العربية الواعية بعد ان كادت تنحدر الى هاوية اليأس اسفاً على انعدام غرائز الكرامـة القومية ورجفات الروح الوطني في صدر المسؤولين العرب الذين جاروا دون ما حشمة وبافراط في الوقاحـة موكب المؤامرة الاستعمارية التي افتعلت الدولة اليهودية ورفعتها على اعمدة مقدسات النصارى والمسلمين .

اسباب الانقلابات العسكرية في سوريا

ان الانقلابات العسكرية المتتابعة التي تنفس عنها صبح الوعي

في سوريا بعد ان طالت عسعسة ليل المؤامرة والدسيسة ان هذه الانقلابات التي ليست في الواقع الا ظاهرات تطورية وتكاملية لانقلاب واحد جاءت وليدة حتمية لكارثة العرب في فلسطين وللمؤامرة الدولية على الحق الواقعي الحاضر والتاريخي المديد في قصر الدهر لهذا القوم .

ان قصة الانقلابات العسكرية في سوريا ان هي في مولدها الا انتفاضة الاباء والشمم في افئدة الجيل الطالع وفي سيرها التكاملي بداية ثأر الكرامة المجد والتاريخ والتراث .

كان من حق الجيش السوري ان يثور ويتمرد وينسف الجهاز الحاكم في بلاده من صرحه ودعائمه .

واما الاسباب فهي بسيطة خالية من كل تعقيد وابهام وغموض واليك خلاصتها .

بطولة الجيش السوري

في ذات يوم اي في الليل الواقع بين الخامس والسادس عشر من شهر ايار عام ١٩٤٨ قيل هذه المجموعة من الفتية المشتعلة حماساً للاقتصاص من المؤامرة الدولية والملتهبة كالنار للحؤول دون تحقيق الحلم الصهيوني

في ذاك اليوم قيل هؤلاء الفتيان ان عليكم انقاذ معنى العروبة في فلسطين فاندفعوا اندفاع السهم وهم مجردون من كل سلاح جدي الا الايمان الذي فاق الصوفية وعلاها لانقاذ كرامة اكرم

واجد واجل تاريخ عرفته السيرة البشرية .

انطلقوا وقد شعروا في المؤامرة منذ البداية ومع ذلك انطلقوا يصارعون احدث ادوات الفتك والتدمير واستخدموا جماجمهم جسراً الى « مشار هايردن » وهو امنع حصن يهودي في الشمال الفلسطيني فتم لهم ما ارادوا وافتحموا ابراج هذه القلعة وتحقق لهم بذلك السيطرة على جميع المسالك الاستراتجية الممتدة من حدود سوريا حتى حيفا .

سرقة خرائط الاركان السورية

واما جناح هؤلاء الفتية الذي التف على بانياس لتغطية المؤخرة العراقية فقد دفع ما لا يقل عن الف ضحيـــة بالارواح بنتيجة « غلطة » مشبوهة قيل في شأنها العديد من الاشياء افترفتها وزارة الدفاع التي كان يتمرس بتبعاتها السيد احمد الشراباتي ومما قيل في هذا الصدد ننقله على ذمة الشائعة ان زوج وزير الدفاع اليهودية الاصل من التبعة الالمانية قد اطلعت القيادة اليهودية على خرائط الاركان السورية المتعلقة بالاعمال الحربية ، بالرغم عن هذا الثمن الغالي الذي دفعه فتيان سوريا فأظهروا من اسباب البطولة مما ضمن للجيش العراقي ان يركز مدافعه على بعد اثني عشرة كيلو متراً من تل ابيب وان يتخذ لها قاعدة اساسية في مستعمرة ملبس او بتاه الكفاه كما يسميها اليهود التي تحتوي بدورها على معظم مراكز الصناعة الحربية الخفيفة في فلسطين .

عادت الجيوش العربية تدخل تل ابيب

ولا اعلان الهدنة الثانية

وفيما كان الفتيان من سوريين وعراقيين اي من هذا الصلب العربي الصافي الذين دفعوا لانقاذ كرامة اجل تاريخ في السيرة البشرية ، فيما كان اولئك وهؤلاء يلقون قنابل مدافعهم في وسط « تل ابيب » ويتأهبون للوثوب على عاصمة الصهيونية في العالم واحتلالها وتصفية امرها من الوجود اذا بالاوامر تصدر باجماع اللجنة السياسية بما فيها اعضاء الوفد السوري بالتوقف عن القتال وباعلان الهدنة الثانية .

كان على هؤلاء الفتيان ان يروا اسرائيل تبنى على ظفرهم ويكرهون على العودة الى وراء والتسليم برغائب واهداف وارادة المؤامرة الدولية .

الانقلاب السوري الاول وتطهير سوريا

من صنائع المؤامرة الكبرى على فلسطين

عاد فتيان سوريا الى المواقع التي حددت لهم بحكم عبودية الهدنة الثانية .

كلا انهم عادوا للحساب والاقتصاص وترتيب خطط الثأر .

فكان من اول اعراض الحركة الثأرية هذه تطهير سوريا من

صنائع المؤامرة الكبرى واذنابها فاذا بالحلقـــة الاولى من سلسلة الانقلاب العام تظهر الى الوجود بقيـادة المرحوم حسني الزعيم في الثلاثين من شهر اذار عام ١٩٤٩

وتستشعر سوريا عندئذ بروح الثأر ، سوريا هذه التي لم تتخاذل في فترة من فترات تاريخها امام اي عـدوان استعماري ، تستشعر بروح الثأر وتنام قريرة العين لتشاهد بعد ايام من هذا الحدث الافة الدولية تستعد للانتقاض عليها وخنق هذا المولود الذي يطفح بشراً ونوراً وهو في مهده .

البريطانيون يتقربون الى قادة الانقلاب الاول

البريطانيون يريدون ان يستغلوا الانقلاب ويتحولون بـه الى حساب سياستهم « ومصالحهم النفطية والاستراتيجية والاقتصادية عامة فتهبـط طائرة فجـأة بالسيد نوري السعيد رئيس حكومة العراق ولكنها تهبط لتعود فوراً اذ ان محاولات المبعوث البريطاني التي كانت تبغي بالظاهر على عامل اغرائي وهو ايجاد وحدة سورية عراقية بما يفيد في القاموس السياسي نسف الكيان السوري كدولة مستقلة قد افلست وفشلت وسارت الى طيات الذكرى .

اميركا تساند حسني الزعيم

وبينما الامر ينتهي على هذا النحو يتدخل الاخطبوط الاميركي بدوره مستنداً الى صنيعه الفرنسي والتركي فينزلق المرحوم حسني

الزعيم في هذا التيار العنيف فيمضي الامر به الى ان اغراه باقامة حكم دكتاتوري والانصراف عن المهمة الاصلاحية والغرض الاساسي من الحركة الانقلابية فكان كما نذكر ايجاد محور القاهرة دمشق وتعميده بالبركة الاميركية

وكان لا بدمن ردة فعل من هؤلاء القادة الذين رفعوا حسني الزعيم الى مقام البطولة وكواكب التاريخ. فصفيت اسطورته في الرابع عشر من شهر آب من ذات العام وحل محله المرحوم اللواء سامي الحناوي.

الانقلاب السوري الثاني

وثق بمحترفي السياسة وهو المعروف بطيبة القلب وسلامة الطوية الذين صوروا له ان البعث السياسي للعرب وتنظيم جبهة فعالة للوقوف في وجه الخطر اليهودي ثم التمهيد بذلك الى الثأر ليس من سبيل الى تحقيقه الا في اتحاد بين العراق وسوريا فانزلق اللواء الحناوي في هذا الكمين البريطاني الجديد ولم يدر في خلده ان القصد من وراء هذه المناورة يهدف الى القضاء على الكيان السوري والقضاء بذلك على كل امل في حركة تحرير عربي عامة وفي الاعداد لوقفة صريحة قوية بوجه مشروعات التوسع الصهيوني فكادت المؤامرة تتحقق وتبلغ غاياتها لو لم يبادر العقيد اديب الشيشكلي بالتعاون مع حفنة من القادة ذوي الضمير الراسخ والوعي الناضج والفطنة المتقدة المدركة الى احباط المؤامرة واشعال خيوطها ودكها من صرحها

وكان تنحية اللواء الحناوي عن زعم الحلقة الثانية للانقلاب السوري وكان انبثاق فجر النظام الجديد في البلد السوي .

انبثاق فجر النهضة السورية

ونجاح الانقلاب الثالث على يد العقيد اديب الشيشكلي

وهنا حاول الصراع الدولي في وجوهه البريطانية والاميركية والروسية والفرنسية ان يستغل الموقف مستخدماً في هذا السبيل جميع امكانياته من عربية وغيرها ولكنه جوبه في هذه المرة بعناد وعي اصلب من الصخر . وقيل له ان لا سبيل الى التيجان والاستعمارات وقواعد النفوذ والامتيازات الاقتصادية في سوريا وان رجال نظام الحكم القائم يمدون يدهم صريحة بيضاء من مختلف الدول الى كل من يريد خيراً وتعاوناً صادقاً مع سوريا على اساس انها دولة جمهورية مستقلة .

بيد ان الاستعمار شأنه في كل صفحة من صفحاته أبى ان يرعوي واصر الا على الاستغلال فاستطاع الاستعمار بمحترفي السياسة ممن يحملون الالقاب الضخمة ولكنها الفضفاضة الجوفاء وكادت دسائسه تنجح وتصل الى مراميها وتبعث العروش والتيجان في سوريا .

والا ان قادة الانقلاب الثالث كانوا لتطورات هذه الحركة وتمدداتها في المرصاد فانقضوا على حبائلها انقضاض الاسد ومزقوها شر ممزق .

فشعشعت انوار صبح جديد في سوريا ومنذ ذاك اخذ هذا القطر يسير سراعاً في طريق تقدمية صحيحة ونهضة اصلاحية شاملة انبرى المشرفون عليها يعملون معول الترميم والتعمير والانشاء في كل مرفق من مرافق الحياة العامة.

سوريا تسير الى الامام

انبرى هؤلاء يحضرون قوة عسكرية فعالة وفعلية مجهزة بكل نوع من انواع الاسلحة الحديثة التي تؤهلها عملياً ليس للوقوف بوجه اية فكرة عدوانية تبيتها احلام الصهيونية بالتوسع ، بل للتأهب للثأر وقد يكون لاكثر من ذلك .

انبرى هؤلاء يوجهون الاقتصاد في بلادهم وجهة تتفق مع قواعد انشاء الدولة العصرية فتشجيع الانتاج الوطني في الاساس ثم نشر الصناعية في مختلف الوانها والاكتفاء من الاستيراد الاجنبي حينما يشكل ضرورة لسد حاجات الاستهلاك المحلي .

السلو والشبكلي يضربون معول الاصلاح في الجهاز المهلهل

انصرف هؤلاء بجرأة تستدعي الدهشة يضربون نفس المعول في الجهاز الاجتماعي العتيق فاذا بهم ينسفون قواعد الاقطاعية ويوزعون املاك الدولة على صغار الفلاحين ويبحثون عن اساس عملي ناضج لرفع مستوى العامل

مضى هؤلاء انفسهم يعملون ذات الشيء في الجهاز التعليمي

والتثقيفي متوفرين بما احاطوا به حركتهم التوجيهية من فنيين وخبراء على تنقيته من جميع ادران الجمود والارث الاستعماري والعمل على جعله خليقاً بامة تبحث جادة عن الحياة في عصر اصبحت فيه السيطرة للتقدمية العلمية والفنية .

اما في الحقل السياسي العام فهم يسعون بكليتهم الى تنقيح الاوضاع الادارية الداخلية وبعثها بعثاً جديداً بحيث تتوفر لها الكفاءة لايجاد دولة ديمقراطية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

ثم في الميدان الاقليمي والخارجي فان شعار نظام الحكم الجديد في سوريا تأييد ودعم كل خطوة تعمل صادقة مخلصة للوحدة العربية التامة وتمزيق كل مؤامرة تحاول النيل من كيان سوريا الناشئة

في هذه البقعة وحدها من بقاع المجموعة العربية افلس الصراع الدولي خلال هذه الفترة الجديدة من وثبتها من الاحتيال عليها باي طريقة من الطرق.

ممثلو السياسة الاميركية

يعقدون مؤتمراً خطيراً في استانبول برئاسة جورج ماغي

ننتقل في هذا الفصل الى التحدث عن وجه جديد من اوجه الصراع الخفي القائم بين الدولتين الانكلوسكسونيتين حول بسط نفوذهما على مفاتيح خصائص منطقة الشرق الاوسط من الناحيتين الاستراتجية والسياسية .

رأى ممثلوا اميركا الدبلوماسيون في هذه البقعة بعد تلك

الظاهرات السلبية التي عمت العالم العربي عقب انتقال دولة اسرائيل وما يفرض ان تفضي اليه هذه الظاهرات في المستقبل اذا ما تركت في سبيل النمو ، من تهديد كبير لمصالح بلدهم ولا سيما اذا ما نشبت حرب ثالثة بين المعسكرين الشرقي والغربي ، رأى هؤلاء الوكلاء للدبلوماسية الاميركية لدى دول المجموعة العربية ان لا بد من ادخال تعديلات اساسية على توجيه سياسة وشنطن وتنقيحها تنقيحاً جديداً بحيث يتخذ من التعاون مع العرب اساساً لتطورها وتكاملها ولكنهم رأوا انفسهم في ذات الوقت انهم امام طائفة من المشكلات · بالاضافة الى قيام اسرائيل . لا بد من معالجتها قبل التفكير الجدي في تحويل الشرق العربي الى قاعدة تستطيع السياسة الاميركية الركون الى ولائها ·

فتنادى هؤلاء الوكلاء في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٠ الى عقد اول مؤتمر لهم في استانبول (تركيا) وقد تولى رئاسة هذا المؤتمر المستر جورج ماغي : الذي كان وكيل في ذاك الحين لشؤون الشرق الاوسط وافريقيا الشمالية في وزارة الخارجية الاميركية واصبح الان سفيراً لوشنطن في تركيا .

مؤتمر استانبول

قرر الانفصال عن السياسة البريطانية في الشرق الاوسط

ظل هؤلاء خمسة ايام متوالية يستعرضون في هذا المؤتمر السري ابرز الاوضاع السياسية والاستراتيجية والاقتصادية لهذه المنطقة

فاستقر رأيهم على انه لا سبيل اذا ما كانت الولايات المتحدة تنشد فعلا انتهاج سياسة عربية من الانفصال عن الدبلوماسية البريطانية في هذه الرقعة ولو ادى ذلك الى شيء من التنافس او التنافس كله بين الدولتين السكسونيتين على اعتبار ان ثمة قضايا قومية وحيوية بالنسبة للعرب ما زالت موضع الخلاف والنزاع بينهم وبين الانكليز فهنالك مصر تطالب بالجلاء البريطاني الناجز عن ارضها بما في ذلك منطقة القناة وتوحيد ضفتي الوادي . وهنالك ايضاً العراق الذي يطالب بتعديل معاهدته مع بريطانيا وهي المعاهدة التي استنفدت جميع اغراضها وكانت قد عقدت عام ١٩٣٠ لمدة ٢٥ سنة .

وهنالك نقطة لا تقل خطورة عما ذكرنا وهي مقاومة الجمهورية السورية لمشروعات الاستعماريين البريطانيين في نسف الكيان الجمهوري السوري لصالح العرش الهاشمي في عمان او تحقيق الهلال الخصيب لصالح التاج الهاشمي ايضاً في العراق وهو المشروع الذي وضع السيد نوري السعيد اسسه بالتعاون مع اصدقائه الانكليز من رجالات وزارة الخارجية والمستعمرات . والمعروف عن هذا المشروع انه يقضي بدمج العراق والاردن وسوريا والبقية العربية من فلسطين في نظام سياسي اقتصادي عسكري موحد .

ثم اقتنع هذا المؤتمر بنتيجة تدارسه وتدقيقه في مختلف مواطن الحس لاوضاع العالم العربي ان الولايات المتحدة لا تستطيع الاتكال على صداقتها مع البيت السعودي وحده اذا ما كانت تروم البحث عن اسس فعالة ذات طابع استقراري تبني عليها سياستها العربية للمستقبل .

توصيات هامة

للمؤتمر الدبلوماسي غيرت وجه الاحداث

اذاً ، كان لا بد لهذا المؤتمر الذي يعد من اهم ادوات التوجيه للدبلوماسية الاميركية في الحقل العربي من عرض التوصيات التالية على كل من البيت الابيض ووزارات الخارجية والدفاع والبحرية التي قدم اليها بفذلكة ذات قيمة تسربت الينا بطريقة خاصة وهذه خلاصتها .

ربع الحرب الثالثة يتوقف على العرب

لقد اثبتت تجارب الحرب الثانية الاخيرة ان منطقة الشرق الاوسط هي قاعدة اساسية تتجمع فيها كافة عناصر الضرورة لحوض كل عمل حربي ضد الاتحاد السوفياتي وان التفكير في مهاجمة آبار النفط الروسي في القوقاز وحرمان اداة الحرب السوفياتية من اغنى مواردها بالزيوت ليس من حظ كبير في نجاحه عن طريق التعاون العسكري مع تركيا وحدها بل ان ذلك يشترط ايجاد قواعد جوية منظمة في سوريا ولبنان وفلسطين على ان تتحول العراق ومصر الى خزان كبير يؤمن تقديم الامدادات بالرجال والسلاح والمؤون الى اي مشروع هجومي يهدف الى تطويق وتعطيل حقول النفط السوفياتية في باكو والقوقاز عامة .

كما ان الحملات العسكرية على اليونان وصقلبا وايطاليا طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٤١ الى ١٩٤٤ اوضحت بشكل لا يقبل الجدل والبحث اهمية الشرق الاوسط في تموين وامداد مثل هذا النوع من العمليات الحربية الحاسمة التي ضمنت النصر لحرب القوات المتحالفة . وحصر الجيوش المعادية في القارة الاوروبية

ثم انتهت هذه الفذلكة بتفنيد المقترحات التالية التي صيغت بموافقة المؤتمرين جميعهم بشكل توصيات

اولا : الانفصال عن السياسة البريطانية في جميع ما يتناول القضايا المعلقة بينها وبين العالم العربي .

ثانياً : الاتخاذ من تأييد مطالب العرب القومية اساس سياسة اميركا في الشرق الاوسط .

ثالثاً : دعم مصر في مطالبها من بريطانيا وتشجيع مثل نمو هذه الحركة في العراق ومعارضة الدبلوماسية البريطانية في كل خطة ترمي الى تحقيق مشروع سوريا الكبرى او مساعدة مشروعات السيد نوري السعيد واعوانه من الانكليز على الخروج الى حيز الوجود اذ في ذلك تكسب السياسة الاميركية عطف الرأي العام القومي العربي ثم تعزيز علاقاتها بالمملكة السعودية .

رابعاً : الكف عن الاستمرار في الانتصار الدبلوماسي والاقتصادي لاسرائيل وتشجيع هيئة الامم على تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية وتنفيذ مقررات مجلس الامن الدولي فيما يتعلق بتسوية قضية اللاجئين العرب على اساس

اعادتهم الى ديارهم او التعويض على الذين لا يرغبون منهم في العودة !

سياسة البيت الابيض في اميركا

هذه هي خلاصة التوصيات التي اسفر عنها المؤتمر الدبلوماسي لسفراء ووزراء اميركا في الشرق الاوسط الذي عقد بالتاريخ المنوه عنه سابقاً ، واما هل اخذ البيت الابيض بهذه المقترحات ام اهملها وتابع السير على سياسته الصهيونية فذلك ما سنعرض اليه في فصل اخر من هذا الكتاب ، ولقد قصدنا في ايرادها الى غايتين : اولا بيان اهمية الشرق العربي من النواحي الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية في كل حرب قادمة ثم التأكيد ان الاميرال « فكتلر » قائد البحرية الاميركية لم يكن هو الاول الذي اعترف بالدور الرئيسي لهذه المنطقة في كل دبلوماسية دولة عرضة لخوض نزاع مسلح ضد الاتحاد السوفياتي وانه لم يكن الاول ايضاً الذي نصح البيت الابيض ووزارة الخارجية الاميركية بضرورة انتهاج سياسة عربية مستقلة عن كل اعتبار دولي اخر .

اخطر تقرير صدر منذ ضجة في العالم

هو تقرير الاميرال فكتلر

ولا بأس بعد ذلك من وضع خلاصة هذا التقرير الذي نظمه الاميرال « فكتلر » واقام نشره الرأي العـــام الدولي واقعده بالرغم عن تكذيبه والتنصل من محتوياته .

ينقسم تقرير رئيس الاميرالية الاميركية الى جزئين : احدهما يتناول اوروبا والثاني يتعلق مباشرة بكيفية توجيه السياسة الاميركية ، في الحقل العربي .

اوروبا لا تصمد بوجه روسيا الا بضعة ايام

ففي القسم الاول من تقريره يرى الاميرال « فكتلر » ان اوروبا بقوتها الحاضرة لا تستطيع ان تجابه الدفعة السوفياتية اذا ما نشبت حرب ثالثة وتقف بوجهها اكثر من بضعة ايام وانها بحكم ذلك سوف تسقط من حساب مواطن القتال في الحرب القادمة كما كان حالها اثناء الحرب الماضية وبعد الاكتساح الهتلري مع فارق واحد هو ان بريطانيا بسبب السلاح الذري لن يكتب لها بدورها في هذه المرة ان تتخذ قاعدة لتحرير اوروبا وتخليصهـا من الاحتـلال السوفياتي .

ويفيد هذا الرأي اذا ما نظر اليه من زاوية ثانية ان جميع الجهود الاميركية التي تبذل في سبيل تسليح اوروبا سوف تكون

نتائجها عقيمة وسلبية اذا لم تقرن في العمل فوراً على انشاء شبكة دفاعية مماثلة في المنطقة التي تقوم على ضفاف شرقي المتوسط .

اهمية البحر المتوسط في الدفاع والهجوم

واما في الجزء الثاني من تقريره الذي يختص بـــه الاميرال فكتلر ابراز اهمية البحر المتوسط فقد قال فيه باختصار انه يمثل نقطة الثقل في الدفاع عن اوروبا وانه قام بنفس الدور بالنسبة لاوروبا المحصورة خلال الحرب الماضية الثانية فكيف به الان بعد ان اصبح يربط بين اوروبا واسيا وافريقيا واحتل بحكم ذلك المجال الحيوي لكل صراع مقبل بين اميركا والاتحـــاد السوفياتي وهو القتال الفتاك الهالك الذي يمتد من قلب القارة الاوروبية الى الطرف الاقصى النائي من اسيا .

جميع خبراء اميركا العسكريين نادوا باهمية الاتفاق مع العرب

ان الاميرال الاميركي في رأيه هـذا لم يأت كما اسلفنـا باي جديد بل قد سبقه الى ذلك جميع خبراء وزارتي الخارجية والدفاع في وشنطن كما ان المستر فورستال وزير الدفاع الاميركي بـين عام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ كان قد تقدمه بمثل هذا الرأي وكلفته نظريته القضاء انتحاراً تخلصـاً من الضغط الصهيوني اذ كان توجيهه للبيت الابيض في مختلف التقارير والمقترحات التي تقدم بها ان لا سبيـل

الى تكوين سياسة اميركية في الشرق الاوسط الا بتقديم مصالح العرب القومية وتشجيعها على كل المصالح الاخرى القائمة في هذه المنطقة ثم كان يحذر باستمرار وجرأة الجهاز الحاكم في وشنطن من الانزلاق في التيار الصهيوني على حساب الصداقة العربية .

ولا خير هنا من العودة بشيء من التبسط الى ايجاز عناصر نظرية الاميرال فكتار في اخراج اهمية المتوسط من الناحيـــة الاستراتجية والحربية .

ميزات البحر المتوسط في العمليات الحربية

يقول الاميرال الاميركي ان اهم ميزة للمتوسط هو انه صغير الحجم اذ ما قيس بالمحيطين الاطلسي والباسيفيكي فالاول يفوقه مساحة باربعين ضعفاً والثاني بسبعين مرة ، الامر الذي جعله (اي المتوسط) صالحاً لحشد القوى المختلفة المتشاركة والاشراف عليها باحتياطي مسلح اضخم منها لاسيما وان المسافات في هذا الحوض ليست طويلة سواء اكان ذلك في الجو ام في البحر فالمسافة بين جبل طارق وسوريا مثلا ٢٢٥٠ ميلا والمسافة بين قواعد مراكش الجوية وبوخارست ١٨٥٠ ميلا ولا تختلف المسافة جواً عن هذا المعدل بين ليبيا والقفقاس . ثم يستطرد قائلا ان استخدام حاملات الطائرات في المتوسط يقصر المسافات للاعمال الحربية بنسبة ٥٠ الى ٦٠ بالمئة ويتيح فرصة تسديد الضربات القاصمة الى العدو .

ان خصائص المتوسط الجغرافية هذه تجعل الاتحاد السوفياتي

يستميت للحصول على منفذ اليه والاستيلاء على احد مفاتيحه كما جعلت بريطانيا من قبله تضحي بكل شيء للاحتفاظ بهذا الحوض طريقاً لمواصلاتها .

العرب قوم اشداء اذا ما سلحوا

وبعد ذلك ينتقل قائد البحرية الاميركية الى التحدث عن نمو الروح القومية العربية في المتوسط فيقول في صددهـــا ان هذه الروح من مفاتيح النفوذ في البلدان الضاربة حول هذا البحر قـد تتحول الى عامل حاسم في صالح السياسة العسكرية الاميركية وانجاحها او في اخفاقها الى ان اتجه في نصه للقائمين على جهاز الحكم في الولايات المتحدة فقال : ان من الضروري ان يأخـــذ ساسة اميركا بعين الاعتبار الكلي الوطنية الصارخـــة في كل من مصر وتونس ومراكش والجزائر وليبيا وان الاربعين مليونا من العرب الذين تجمعهم وحدة التاريخ واللغة والدين والامال القومية هم من المقاتلين الاشداء يستطيعون اذا ما زودوا بالسلاح اللازم ودربوا التدريب الكافي ان يشكلوا دعامة لها اكبر الوزن في تعزيز قوات مسلحة تخوض غمار حرب ضد قوة هائلة جبارة كالاتحاد السوفياتي وان استخدام قوات عربية كاملة التجهيز في الدفاع عن افريقيـا الشمالية والشرق الادنى يمكن الدول الغربية من الاحتفـاظ بهذه المنطقة حرة ويكفل للقسم الاعظم من قواتهـــا ان يتمركز بطمأنينة استراتيجية ليعد العدة لاجراءات حربية حاسمة .

توجيه تركيا ضد القفقاس

ويستطرد الاميرال فكتلر في جزء اخر من تقريره منوهـاً مجدداً باهمية المتوسط التي تقاس بالنسبة لاميركا باللون الذي تتخذه علاقاتها بالعالم العربي فيقول على وجه التقرير والفرض : « اذا كان لون صلاتنا بالعرب ايجابياً فبوسعنا في حال نشوب حرب يشتبك فيه المعسكران الغربي والشرقي ان نوجه تركيا ضـد القفقاس وبلغاريا ، وان ندفع اليونان الى تطويقها ضمن حدود امكاناتهـا الجغرافية وان نطلق العنـان ليوغوسلافيا كيما تقوم بحـركة التفاف من جهتهـا حول بلغاريا والمجر . ثم يستدرك مؤكداً ان تحقيق مثل هذه الخطة التي اولوها من الوجهة العسكرية لي كخبير كل صلاحية الرأي في هذا المضمار لا يمكن ان نبلغه الا اذا كنا على طمأنينة من صداقة المؤخرة العربية .

تقرب اميركا العرب ستثير نقمة بريطانيا وفرنسا

وبعد ذلك ينتقـل امير البحر الاميركي الى التعليق على هذا الموضوع وبيان اهميته من الوجهة السياسية وتعداد السبل لمعالجتها فاذا به يقول يضاً :

« ان محاولة الدبلوماسية الاميركية للتفرد بصداقة العـرب سوف تثير حتما نقمة بريطانيا وفرنسا اذ لكلتيهما مشكلات قومية معقدة ما زالت معلقة مع المجموعة العربية .

واما الذي اراه هو ان على الاستراتجية الاميركية في وجهيها

العسكري والسياسي ان تعمل جاهدة جادة للتوفيق بين الاطراف الثلاثة ، واذا ما قبلت فرنسا وبريطانيا بحل عادل حاسم وتسويات صحيحة جملة وفرادي لمطالب هـذا القوم صاحب الوجود الجبـار والتاريخ المجيد فان الدول الغربية سوف تبلغ اهدافها لا محالة

ويستطرد ايضاً امير البحر الاميركي فيقول بصيغة التأكيـد والنصح بلهجته العسكرية التي اعتادها واتصف بميزاتها ان تشجيع المجموعة العربية الضاربة من ضفة الاطلسي حتى جبـال طوروس والجزء النائي من الخليج الفارسي على الانتظام في عقـــد اتحادي (كونفدراسيون) ان هذه الكتلة اذا مـا يسر لها الاجتماع في نظام اتحادي بشرط ان تكون صداقتها طرفه المقابل فان الحرب الغربية المتحالفـــة تستطيع السيطرة على المبادرة والقيام باعمال حاسمة .

على امريكا ان تحذر بمثل العرب

ليس لي ما اضيفه على ذلك الا توجيه النصح الصادق لرجالات الحكم في وشنطن بعقد ميثاق جماعي مع الجامعة العربية او معاهدات ثنائية ولا سيما وان هذه المنطقة فائقة من الوجهة السياسية ويتكون هيكلها طبقاً لشرعات واضحة الاهداف ، ومعينة البرامج وتجحت مؤخراً في احراز شخصيتها الدولية بعد ان اعترفت بهاهيئة الامم المتحدة منظمة اقليمية في الشرق الاوسط .

لقد سبق لنا في صفحات متقدمة من هذا النطق ان اشرنا الى

ان المؤتمر الدبلوماسي الاميركي الذي عقد في استانبول بتاريخ تشرين الثاني من عام ١٩٥٠ وتولى رئاسته المستر جورج ماغي هو الذي ختم مقرراته بتوجيهها على شكل توصيات الى البيت الابيض ووزارة الخارجية الاميركية تطالب بادخال تصحيحات رئيسية على السياسة الاميركية في الحقل العربي .

بترول الشرق الاوسط

هو الضمانة الوحيدة لنصر الولايات المتحدة في حرب جديدة

وفي الواقع فان الاميرال « فكتلر » يختم الشق السياسي من تقريره قائلاً ومرشداً للدبلوماسية الاميركية الممثلة حالياً بالمستر دين اتشسون ان الشخصية السياسية الوحيدة التي تتمكن من الاندماج مع مطالب العرب القومية والتكفل للسياسة الاميركية في تحويل هذه المجموعة الى قاعدة صديقة هو المستر «جورج ماغي» نظراً لذهنيته السياسية المرنة ولنفرته من العنعنات الانتخابية ولتفهمه تفهماً صادقاً عميقا قضايا العرب وحادثهم القومي .

والخاتمة النهائية لهذا التقرير هو ان الحفاظ على البترول الاميركي في منطقة الشرق الاوسط وما في هذا الحفاظ من ضمانة لنصر الولايات المتحدة في اية حرب تخوضها ضد مجموعة اسيوية او اوروبية ليس من سبيل الى ضمانته الا بصداقة عربية اميركية خالصة صحيحة ولو قامت على انقاض جميع الاعتبارات المصلحية

لصديقتينا في الغرب » . اي بريطانيا وفرنسا

رأينا في الصفحات المتقدمة بين هذا الفصل اهمية المتوسط الشرقي وسكانه العرب بالنسبة لاية زعامة في السياسة الدولية تتعرض لخطر خوض حرب ثالثة ، بقي علينا ان نتساءل في هذا الجزء الجديد من بحثنا ما اذا كانت الاداة الحاكمة في وشنطن قد تأثرت عمليا في هذا النوع الصادق الواعي من النصائح والتوجيهات ام انها ما زالت سمعنة مسترسلة في تجاهلها وتغاضيها ولو كان في نتائج مثل هذا التجاهل طعنة نجلاء قد تقضي على كل امل للولايات المتحدة في ربح حرب ثالثة ؟

كبار قادة اميركا العسكريون

ورأيهم في الحرب الثالثة

في الواقع تقوم في اميركا مدرسة تنادي بايجاد سياسة عربية اميركية خالصة مستقلة عن جميع الاعتبارات الدولية الاخرى . وتضم هذه المدرسة طائفة محترمة من كبار العسكريين امثال الاميرال « فكتلر » والخبراء المشهود لهم في المعرفة والكفاءة والالمام بالنواحي الفنية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية لمصلحة الولايات المتحدة العليا وهؤلاء لهم مراكزهم الرئيسية في وزارات الخارجية والدفاع والجو والبحر الا ان اراءهم ونصائحهم غالباً ما تصطدم وتحتك بالنفوذ الفعلي الذى يتحكم في توجيه أداة الحكم الاميركية .

الاتحاد السوفياتي لا يتورط بحرب

ما لم يضمن صداقة العرب

يذهب دعاة المدرسة العربية في وشنطن ونيويورك في شيء من العقيدة الراسخة الى انه يستحيل على الاتحاد السوفياتي ان يتورط في غمار حرب ثالثة الا اذا ضمنت له صداقة شعوب الشرق العربي وانه في تأمين صداقة هذه الشعوب والتعاون معهـــا تعاوناً فعالا ضمانة قوية وقد تكون الشرط الاساسي لكسب الحرب واما في حالة العكس وفقد الولايات المتحدة اسباب الصداقة العربية وميزاتها من سياسية وغيرها فذلك يعني في تعبير اخر واعمق انهـا خسرت نفط الشرق الاوسط فما عليها بعدئذ الا الانكفاء الى العالم الجديد والارتداد من حيث انطلقت والعودة الى الانتحاب وسكب الدموع ضمن جدران مبدأ « مونرو » اي الرجوع الى الانعزالية والتخلي عن المركز العالمي الذي اكسبتها اياه الحرب الثانية . ثم يستطرد القائلون بهذا المذهب فنراهم يتابعون التأكيد انه في حالة تغلب السياسة الاميركية بتقديم مصلحتهـا القومية العليـا على الاعتبارات الدولية الاخرى ونجاحها في تحويل المجموعة العربية الى قوة عسكرية عملية فلسوف يصبح من المشكوك به جـداً ان تغامر روسيا في الاقدام على اثارة او تشجيع الهاب نار حرب ثالثة

سياسة ترومان وديبه اتشسون

هذا ما يراه الاخذون بفكرة الدعوة الى ايجاد سياسة اميركية عربية وتلك هي الاسباب التي يبررون فيها دعوتهم ويؤيدون بها نظريتهم وهم في الواقع من خيرة العناصر الاميركية ومن اكثرها ترفعاً عن ضغط العوامل الانتخابية والمادية .

واما في الجهة المقابلة اي في الجهاز الحاكم وعلى رأسه المستر ترومان وعونه الاول المستر « دين اتشسون » وزير الخارجية فالامر يختلف تمام الاختلاف اذ الاول جاء الى الحكم بتشجيع عاملين : اولهما النفوذ اليهودي والثاني النفوذ البريطاني الذي يلعب الدور الرئيسي في توجيه سياسة اميركا الخارجية وقد ارتبط نحوه المستر ترومان بالتزامات عديدة في هذا الحقل لا يستطيع الخروج عليها والثاني اى العامل اليهودي يستعين بالرئيس ترومان لتقوية اسرائيل وتحويلها الى قوة عسكرية في الشرق الاوسط وسد المنافذ على العرب من الانتفاع والافادة من خصائصهم وميزاتهم السياسية والاستراتجية . فبالنسبة لبريطانيا التي توجه سياسة ترومان في الميدان الخارجي فان مصالحها الاستعمارية تقضي في تقديم تسليح اوروبا على اية منطقة جغرافية اخرى ثم المحافظة على مركزها التقليدي في الشرق الاوسط ، وهي ترى بحكم هذه المصالح عدم تحويل المجموعة العربية الى قوة عسكرية قائمة بذاتها والاكتفاء في استخدامها اداة لتنفيذ مآربها وخططها الدفاعية والهجومية في حالة خوضها لمعركة عالمية ثالثة . ثم في العاصمة البريطانية ايضاً وبين

كبار ساستها فئة متطرفة في رأيها وتحفظاتها للمستقبل تقول بان قتال القنابل الذرية قد يؤدي الى عزل الجزر واحراق لندن وغيرها من كبريات المدن الانكليزية الامر الذي سوف يكره الانكليز على التخلي عن جزرهم والبحث عن متابعة الحرب في البحر المتوسط وافريقيا . ونفس القول يقوله الاستعماريون الفرنسيون . فهؤلاء ايضاً يحذون حذو زملائهم في الذهنية العتيقة المهترئة ويذهبون الى ان الروس قد يحتلون فرنسا خلال بضعة ايام من نشوب حرب قادمة وان لا ندحة لهم تجاه هذا الاحتمال من الاعتماد على الشمال الافريقي لمواصلة القتال مما يمنعهم من الاخذ باية فكرة تشجع الاعتراف لتونس ومراكش والجزائر باستقلالها ورفع الكابوس الاستعماري عنها الى ما هنالك من الاستمرار في الغرب على هذا الوتر وترديد تلك النغمة البالية المكشوفة وما يهم التنويه به هنا هو ان الجهاز الحاكم في «وشنطن» ما زال يتقبل عمليا الى الان الضغط «اليهودي ـ البريطاني» ولو نشأت في الاساط السياسية الاميركية تيارات اخذت تدعو بصراحة الى ضرورة اختطاط سياسة اميركية عربية مستقلة وسنرى بيان ذلك ايجازاً في الصفحات القليلة الاتية .

المشكلة المصرية

هي من اهم مشاكل الشرق العربي

من المعروف ان القضية المصرية منذ ابتداء المرحلة الاولى

للفترة التي عقبت نهاية الحرب الثانية وخاصة بعد ان تسلم حزب الوفد الحكم في مطلع عام ١٩٥٠ تحتل المقام الاول من مشكلات السياسة العربية وقد تأتي في طليعة قضاياها القومية . والمعروف ان مطالب مصر تلخص في نقطتين لا ثالث لهما : الجلاء البريطاني الناجز عن ارض هذا القطر والاعتراف للتاج المصري بسيادته على السودان .

بريطانيا تراوغ وتماطل

في تحقيق مطالب مصر

ليس لنا ان نتحدث عما كان من موقف الدبلوماسية البريطانية في هذا الصدد وهو الامر الذي يعرف تفاصيله القاصي والداني ويعرف فوق ذلك ان بريطانيا وقفت من هذا المطلب العادل موقف المماطل والمراوغ والمسوف شأنها في كل قضية تتعلق بمصالح العرب القومية بل ان المهم هو ان نعرف موقف الولايات المتحدة بعد ان اسفر التعنت البريطاني نحو مصر من نشر ازمة عنيفة من التوتر هيمنت غيومها على اجواء السياسة وافاقها في كل بقعة من بقاع العالم العربي .

ولقد اكتفت اميركا بفضل الخطة التي اتبعها البيت الابيض تقيداً بالاعتبارات الموماً اليها بالوقوف موقف المتحايل الحائر الذي يريد ولا يستطيع الاعراب عن رايه . مع ان البعثات الدبلوماسية الاميركية كانت قد نصحته تكراراً وفي كل مناسبة بضرورة

الانفصال عن الاعتبار البريطاني اليهودي في التوسط لمعالجة قضية مصر وغيرها من قضايا العرب .

فكان من نهج البيت الابيض المائع الضعيف هذا ان تفتقت الذهنية البريطانية عن حل شيطاني جديد سرعان ما تهافت عليه الجهاز الاميركي الحاكم وتبناه بحماس وقوة .

مشروع الدفاع عن الشرق الاوسط

هو مشروع استعماري صرف

وهذا الحل الجديد كان عبارة عن تقديم مقترحات في العقد الاول من تشرين الثاني عام ١٩٥١ تتضمن انشاء شبكة دفاعية في الشرق الاوسط تتخذ القاهرة مركزاً لقيادتها على ان تمثل مصر في هذه القيادة بالنيابة عن الدول العربية الى جانب بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا بشرط ان تتحول قناة السويس الى منطقة احتلال عسكري رباعي من قوات الدول الاربع فكان من البديهي ان تقابل هذه التسوية الخبيثة التي تبناها التوسط الاميركي من مصر شعبا وحكومة بالرفض والاستنكار لا سيما وانها تسوية مفضوحة ارادت ان تستبدل الاحتلال الواحد باحتلال رباعي ثم عرض هذا المشروع ايضاً على الدول العربية الاخرى فقوبل شكلا واساساً بنفس الموقف واجيب عليه اولا من الجانب المصري ان المسؤولين في القاهرة يرفضون اي مشروع احتلالي جديد كما

ينكرون على انفسهم حق الخوض في بحث اي مقترح لتنظيم شبكة الدفاع عن الشرق الاوسط ما لم يتم الجلاء البريطاني الناجز عن ارضهم ويعترف لهم بحق السيادة ولو شكلا على السودان .

ولقد اجابت الدول العربية من جهتها بما يؤيد الى حد ما — ما ورد في مقترحات الاميرال فكتلر وفي توصيات المؤتمرات الدبلوماسية الاميركية السابقة وفيما يدعم توجيهات المستر « فوريستال » وزير الدفاع الاميركي للفترة الممتدة بين عام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ التي خنقها وخنقه اليهود وهما في المهد .

موقف الدول العربية من الدفاع المشترك

اجابت دول الجامعة العربية على مقترحات الدفاع المشترك اي الاحتلال الرباعي بما يفيد ان هذه الدول مرتبطة فيما بينها بميثاق دفاعي اقليمي يعرف بميثاق الضمان الجماعي وانها تقبل التعاون العسكري مع دول الغرب والارتباط بمنظماتها الدفاعية بشرط ان تتعهد هذه الدول بتسلحها وان يترك لها القيادة لمثل هذه المنظمة وان تستبعد اسرائيل نهائياً عن كل خطة تهدف الى تعاون عربي غربي للدفاع عن الشرق الاوسط .

على العرب ان يساوموا الغرب

وقد احتفظ الى الان كل من الجانبين بموقفه فالدول العربية تريد الانتفاع من مركزها الممتاز في شرقي المتوسط في هذه الفترة

الحادة من الصراع الدولي ومن العمل الى اعداد حرب ثالثة ودول الغرب تريد ان تحتفظ بالمجموعة العربية كأداة لتنفيذ اغراضها الاستعمارية ، والعسكرية بمجردة عن اية شخصية مستقلة. وفيما يتناول الوساطة الاميركية فلم تخرج على الاساس الذي ذكرنا وما زالت عبارة عن سلسلة من المحاولات العقيمة السطحية التي تدور في حلقة مفرغة .

ضغط الرأسمالية الاميركية

ومشروع النقطة الرابعة

غير ان الامر يختلف جوهرياً في ميادين اخرى . فبالرغم من استسلام بيت الحكم في وشنطن للضغط اليهودي الاميركي فيما يتعلق بالقضية المصرية التي تعتبر حبة العقد ونقطة الثقل في السياسة العربية فان هذا الاستسلام الاكراهي يخف الى حد ما فيما يتصل بناحية اخرى من نواحي التطاحن الخفي بين الدولتين السكسونيتين حول تركيز نفوذهما في الشرق العربي او قد يكون الفضل في ذلك يعود الى ضغط الرأسمالية الاميركية الضخمة التي تريد الى جانب هيمنتها على موارد النفط الجديدة في الشرق الاوسط ان تظفر في فتح مرافق استثمارية جديدة الى استعماريتها التجارية بعد ان سدت بوجهها الى حد كبير منافذ الشرق الاقصى كالصين وغيرها من بلدان هذه القارة التي تدور في الفلك السوفياتي .

كان من نتائج ضغط الرأسمالية التجارية على بيت الحكم

في وشنطن» ان تردعلى الضغط البريطاني ولو انه استجاب بنسبة كبيرة خفية للتأييد اليهودي ان استخدم نفوذه الدولي لتطبيق سياسة النقطة الرابعة من برنامج « ترومان » تحت ستار مساعدة البلدان المتأخرة اقتصادياً فكان للجهاز القيم على مقدرات الولايات المتحدة ان يعوض في الحقل الاقتصادي عما افقدته اياه التزامات ترومان في الميدان الخارجي نحو بريطانيا .

فمضى يكرس اداته الدبلوماسية المعتمدة لتمثيله لدى دول الشرق العربي على اقناع حكوماتها بقبول المساعدات الاميركية على اساس النقطة الرابعة من برنامج « ترومان » الاستعماري اي توظيف الرساميل الاميركية لقاء الاعتراف الضمني وفي ملاحق سرية لمعاهدات علنية بمراكز ممتازة للولايات المتحدة في البلدان التي تقبل بشروط النقطة الرابعة .

الدول العربية تتحفظ

بقبول النقطة الرابعة ويقبل لبنان

فقوبل هذا المقترح – طبعاً – بكثير من التحفظ بل وبالرفض من اكثرية الحكومات العربية التي عرض عليها .

الا ان الحكومة اللبنانية التي لها مبرراتها بالنسبة للضغط الدولي الاقليمي الخاضعة لها نظراً لوضع لبنان الخاص من الناحيتين : السياسية الجغرافية العامة ، واحواله الداخلية فقد سلمت بالمساعدة الاميركية الفنية . والمالية على اساس النقطة الرابعة مع رفضها

بيع ما يعادل ذلك من مطالب خفية لتأمين وضعية سياسية ممتازة ولايات المتحدة في هذا القطر .

الضغط الفرنسي الانكليزي على لبنان

قد يرجع العامل الرئيسي ونجد تعليل هذا الرفض بالضغط لفرنسي البريطاني الذي تنكر لكل تسهيل لمركز سياسي ممتاز لولايات المتحدة في هذا البلد الا اذا عوملت بريطانيا وفرنسا من لوجهة السياسية بمعاملة مماثلة لاميركا .

الصراع بين اميركا وبريطانيا

سيكون سافراً وهائلاً

والخلاصة ان الصراع المبطن قد يمتد طويلا بين الدولتين الانكلو سكسونيتين ولو استعان الطرفان بفرنسا بين حين واخر كعنصر مساعد ، غير ان التناحر السياسي بين بريطانيا والولايات المتحدة حول مستقبل النفوذ لكليتهما في الشرق العربي سوف يكون سافراً الى ابعد حدود الصراحة بنتيجة المعركة الانتخابية لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة . اذ انه في حالة نجاح الجنرال ايزنهاور بالوصول الى رئاسة البيت الابيض وهي الانتخابات التي ستجري في تشرين الثاني من هذا العام (١٩٥٢) والجنرال ايزنهاور معروف بتقديمه المصلحة الاميركية العليا في وجهها

العسكري والدولي على الضغط اليهودي البريطاني ، ينتظر انه في حالة نجاح هذا العسكري بالتربع على مقود الحكم في الولايات المتحدة ان يتخذ النزاع الانكلو اميركي مرحلة عنيفة من اوجه الصراع وان يكتب النجاح ولو الى حد معين لدعاة مدرسة السياسة العربية في وشنطن . وقد تفوز نظرية الاميرال فكتلر بمساعدة الدول العربية على التحول لقوة عسكرية في الشرق الاوسط في كثير من مقترحاتها واهدافها ! . . .

لبنان هبة الله على الارض

لن نتحدث في هذا الاسترسال او الاستطراد من بحثنا عن لبنان كموقع من خيرة المواقع الجغرافية بين مناطق الشرق الاوسط إجمالا ، ولن نتحدث عنه كمصيف تفوق — بالنظر الى خصائصه المناخية من زرقة سماء وصفاء جو ونسمات منعشة تدفع الى الحياة والنمو على سويسرا التي تعتبر بحق ، المصيف الجبلي الاول في اوروبا ، ثم نتحدث عن لبنان بحكم هذا الاستطراد كرابطة بين الثقافتين الشرقية والغربية في هذه البقعة من ضفاف المتوسط ولن نعرض ان تفصيلا او ايجازاً الى الحضارات المتعاقبة التي عرفها تاريخه الضخم المجيد، هذا التاريخ الذي يحمل اكبر ارث للفخار والاعتزاز، ولن يبلغ بنا الغرور الاقليمي والعصبية القومية بحيث نردد ونؤكد ان حسب لبنان كبرياء وتيها وخيلاء كونه المصدر الاول لفينقيا بها البحرية ، كلا لن نتحدث

عنه كاخصب مرتع لنمو وارتقاء الخالد الابدي من التيارات الفكريه في العالم ان وقائع السيرة التاريخية الثابتة لتغنينا عن كل تذكير بان لبنان كان وما يزال بحق مصدر الاشعاع والوحي والقوة ، وانما ستحدث حديثاً طريفاً لذيذاً عن هذا البلد يتناسب مع الفكرة الاساسية من موضوع هذه الرسالة .

لبنان اكبر مركز استراتيجي في حوض المتوسط

الى جانب ميزاته من ثقافية وفكرية وروحية ، بالاضافة الى كونه ينبوع حضارات متتابعة ما زالت تفيض باشعاعها على المدينة الانسانية في المرحلة القائمة من حياتها فللبنان في هذه الفترة العصبية الدقيقة او في هذه الغمرة الفياضة الطافحة بالاخطار والمفاجات دوره الرئيسي الذي يتوقف على وجهة اتجاهه تقرير مصير الحوض الشرقي للمتوسط بكامله . لهذا البلد الشموخ بجبله وزرقة افاقه ، المعتز بدوره في توليد الحضارات وتوريثها ، لهذا البلد الذي تفح الروح من كل صلب بين صخوره ، له وله مكانة استراتيجية رفيعة بنظر اكبر خبراء « العسكرية » في الاونة الحاضرة .

وللتدليل على ذلك لسنا بحاجة فالحوادث نفسها تتكفل اداء هذه المهمة .

في ليلة ظلماء مدلهمة من ليالي تشرين الثاني عام ١٩٣٩ ، في في هذه الليلة واظنها الثامنة من شهر حزيران ، بينما كان اكثر من تسعين الفاً وجلهم من نخبة شباب فرنسا ينتشرون في عاصمة لبنان وفي وهاده وجباله وتحت ارزه ، هذه الصفوة من الكثرة التي

تجردت عن فرديتها تجرداً عاماً وتدفقت من وراء البحر الى هذا الشاطىء لتساهم بما عليها في اكساب « الحلفاء » نصرهم او المجموعة المتكتلة ضد محور روما ــ برلين طوكيو .

اخطر مؤتمر بين الفرنسيين والاتراك

في هذه الليلة نفسها وقد بلغت بها الظلمة بعد منتصف الواحدة يرن جرس الهاتف في ادارة الجنرال فيغان ، الذي كان يحمل لقب قائد قوات الحلفاء للعمليات الحربية على مسرح المتوسط الشرقي وهي الدارة التي تقع في منتهى خط القاطرة الكهربائية المؤدية الى رأس بيروت وكانت فيما سبق مقراً للقنصلية التركية ،

في تلك الساعة اي بعد منتصف الواحدة كما ذكرنا يقرع الهاتف في دارة الجنرال فيغان فاذا المتحدث السيد «رفقي بازان» قنصل تركيا العام في ذاك الحين (وبناء القنصلية التركية يقع على اقل من مئة متر من سكن قائد عام الحلفاء للمتوسط الشرقي) يطلب الاتصال بالقائد الاعلى ويبلغه من الامور اخطرها قائلا له انه حسب رغبتكم وتنفيذاً للملاحق العسكرية التي تضمنها الميثاق التركي الفرنسي البريطاني فقد حضر الى بيروت المارشال فوزي جاقماق قائد عام الجيش التركي مع اركان حربه وهو ضيفنا الان في دار القنصلية وينتظركم في اية لحظة لافتتـــاح المؤتمر الحربي الذي رغبتم في عقده .

فاجاب الجنرال فيغان انني عقب دقائق سأكون هناك حيث

عقد المؤتمر وستتخذ الترتيبات الضرورية فوراً للحفاظ على سلامته وسريته .

وفي الواقع فلم تكن الساعة قد تجاوزت الثالثة الا وكان الجنرال فيغان قد بلغ دار القنصلية التركيـة وبرفقته اركان حربه .

الجنرال فيغان

طلب الى تركيا دخول الحرب الى جانب الحلفاء

واما السبب في عقد هذا المؤتمر فقد تم كما اسلفنا تنفيذا لارادة الجنرال « فيغان » واغراضه تلخص في ان قائد قوات الحلفاء لجبهة المتوسط كان يرى ان تدخل تركيا الحرب وان تتجرد عن كل اعتبار تحفظي سياسي وتمد يد المعونه الى الحلفاء بصدق واخلاص وان تتخذ اراضيها قاعـــدة للالتفاف بهجوم معاكس على المانيا عن طريق اقتحام البلقان .

رأي فؤاد تركيا العسكريين في موقع ابنائه

لا يعنينا في هذه المناسبة ان نعرف على وجه التدقيق ما قد دار من ابحاث في هذا المؤتمر الحربي كما لا يهم القارىء كثيراً ان يعرف ان مشروع الجنرال فيغان كان يقضي بسبق الالمان في مواجهتهم بفتح جبهة التفافية ثانية عن طريق مهاجمة البلقان وانما المهم هو ما يتعلق بلبنان مباشرة اذ اشترط المارشال « فوزي جقماق » ان

الموافقة على فتح الجبهة الثانية ام عدمها فهي من الامور التي يرجع الرأي فيها الى الحكومة التركية ولكنه كعسكري يرى ان في حالة قبول حكومة انقره بالانضمام علناً الى جبهة الحلفاء او في التسليم بالسماح لحملة الجنرال فيغان في استخدام الاراضي التركية كقاعدة لمرور قواتها باتجاه البلقان فهو يعتبر بلده في كلتا الحالتين قد خاضت الحرب فعلاً وانه تجاه هذا الوضع ليس بوسعه الا ان يشترط كعسكري ان تطلق يداه في التصرف بالمنطقة الممتدة من خليج الاسكندرونة الى الجبل اللبناني الممتد من شمال شرقي طرابلس حتى منتهى اللسان الساحلي الواقع بين صور والناقورة

ثم اضاف المارشال التركي مؤكداً في اختتام هذا المؤتمر ان التقرير الذي سيرفعه الى حكومته بتفاصيل ابحاث هذا الاجتماع والنصائح التي سيقدمها اليها ستكون مبنية على هذا الاساس .

جواب فيغان المارشال التركي

فاجابه الجنرال «فيغان» على هذه المقترحات انه بوصفه مسؤولا عن مصير شرقي المتوسط وان مجلس الحلفاء الاعلى الذي لم يراجع الى الان في مشروعه بفتح الجبهة الثانية الحليفة عن طريق البلقان ـ عبر تركيا ـ اجابه مؤكداً انه بالنظر الى مسؤولياته المشروعة عنها يفضل ان يتخلى عن الجبهة الثانية ولكنه من الوجهة الاستراتيجية الصرف لا يسعه ان يقدم الحصن هدية الى كفاءات يملك اللبناني في مقدرتها الفنية حتى ولو ان تركيا قد خاضت الحرب صراحة الى صف الحلفاء .

لقد اردنا من هذا التذكير الذي ولج حتما طيات التاريخ اثبات اهمية لبنان من الوجهة الاستراتجية فحسب وفقط لا غير .

وعلى ذلك نقول ان هذا البلد الذي حباه مركزه الجغرافي اكبر خاصة لضمان الحركات العسكرية ذات النتائج الحاسمة عند خوض الجبهات المتنافرة المتشاحنة غمار حرب جديدة على هذا الطرف الحساس من بحر المتوسط لم يكن لمجرد المصلحة السياسية البحتة بل انما كان وليد هذه القيمة الاستراتجية التي اعترف بها قائدان من اعظم قادة الحرب الماضية والتي كانت سبباً ، اذا ما نظر الى الامر بعمق وروية في عدم فتح الجبهة الحليفة الالتفافية الثانية ضد الهجوم الالماني عن طريق لبنان — سوريا — تركيا — البلقان .

التاريخ يعيد نفسه . . .

التاريخ في الواقع يعيد نفسه وفي هذا دلالة جديدة على المركز المتفوق للبنان .

فلن نتحدث عنه ايضاً في هذه المرة على اعتبار ان الشركات البترولية الاميركية قد اختارت منطقة الظهراني الواقعة بين ساحلي صيدا وصور مصباً لامتداد بتروله السائل من ينابيع النفط العربي في السعودية ولن اقول في ذلك ان اميركا اتخذت من هذا الشاطىء قاعدة بحرية لتموين غواصاتها فيما اذا اضطرت للاتخاذ من المتوسط اولى قواعدها لخوض حربها القادمة .

كلا لن اقول هذا وذاك ولن الح كثيراً في بيان اهمية بلدي ولكنني استطيع بكل رأس مرتفع وجبهة بيضاء ان اعرض على مسامع القارىء ما قد استوثقت من صحته

اهمية زيارة وزير خارجية اسبانيا

للبنان والبلاد العربية

في التاسع من شهر نيسان عام ١٩٥٢ جاء السنيور ارتاخو وزير خارجية اسبانيا تصحبه بعثة شكلية مؤلفة من ابنة الجنرال فرانكو وزوجها والتوابع .

والسنيور ارتاخو جاء يمهد لمشروع الدفاع المشترك واقناع الدول العربية بقبوله لقاء المحالفة الاسبانية العسكرية وان يتخذ من هذا الحلف قاعدة لازالة اسرائيل كدولة بين هذه المجموعة من الدول وانه في هذا السبيل ومن اجل هذه الغاية يعمل ويجد بتوجيه « الفاتيكان »

وكان على السنيور « ارتاخو » ان يتقدم بمقترحاته « لاختيار » مركز القيادة للحلف المتوسطي الجديد .

فتجول وتجول في مختلف البلدان العربية ثم قدم تقريراً عقب عودته الى مدريد ، انه يقترح بيروت العاصمة اللبنانية او غيرها من المدن التابعة للبنان بشرط ان تكون ساحلية كمركز عام لقيادة شبكة الدفاع عن شرقي الاوسط .

زيارة وزير خارجية اليونان واسبابها

ثم اتبعت هذه الزيارة لوزير خارجية اسبانيا بزيارة اخرى لوزير خارجية اليونان ورئيس حكومتها بالوكالة وزعيم حزب الاحرار في برلمان البلد المذكور ، جاء السياسي اليوناني هذا لدعم مجهود زميله في الترويج لمشروع الدفاع المشترك وحمل الدول العربية على قبوله لقاء امتيازات مختلفة لسنا في معرض بحثها ولو كان اولها حل القضية المصرية على اساس الجلاء عن قناة السويس والتمركز في غزه بشرط دون التسليم فيما يتعلق بمطالب مصر في السودان . واستطراداً نقول ان السياسي اليوناني ذاته قد اقترح بيروت كمركز عام لقيادة الحلف المشترك .

المهم ، الغاية ، الهدف الاسمي ، من هـــذا الحديث في جميع تشعباته وتفاصيله وملابساته هو ان للبنان المركز المتفوق من الوجهات الثقافية والسياسية والاستراتيجية ولبنان هذا سيظل حصنا منيعاً له شمخته التي تسير ابداً مع خلود الدهر .

مشكلة الاردن وعلاقتها بالنظام الدولي

النزاع بين الدول الاستعمارية الكبرى حول اقسام مناطق النفوذ سيظل ابداً الرفيق الدائم والوجه الذي لا يتبدل للشعوب الضعيفة المتأخرة في ثقافتها واقتصادها والاسس التي يقوم عليها كيانها واساليب تفكيرها .

ان هذا النزاع او هذا التزاحم هو الذي يطبع الاتجاه العام الذي يفرض على تلك الشعوب .

ولقد نشأ عن هذا التنافس الخفي الذي اشترك في ايجاده العامل السياسي والاقتصادي والاستراتيجي والبترولي مشكلة جديدة ذات اهمية تضاف الى قضايا العرب القومية .

وهذه المشكلة الجديدة تتناول مصير عرش بكامله والمستقبل السياسي والاستقلالي لبقعة عربية من صميم العروبة سميت بالمملكة الاردنية الهاشمية .

معارضة اميركا لمشروعي

سوريا الكبرى والهلال الخصيب

اراد التطاحن الانكلو اميركي وقد سبق لنا واشرنا في احد فصول هذه الرسالة الى ان السياسة الاميركية تعارض في تحقيق مشروع سوريا الكبرى او الهلال الخصيب ، اراد هذا التطاحن يضاف اليه العامل الصهيوني او الاسرائيلي ان يخلق قضية من الاردن فكان مصرع المرحوم الملك عبد الله مؤسس هذا « التاج » وكان بعد ذلك سلسلة مديدة من المناورات الدولية المحكمة بدأت بالمناداة بالامير نايف ثاني انجال الملـــك الراحل وصيا على العرش الاردني باعتبار انّ الوريث الشرعي للتاج الهاشمي في هـذه البقعة وهو الملك طلال كان قيد المعالجة الطبية في سويسرا وشاءت التوجيهات الاستعمارية في ذاك الحين المنبثقة من احشاء الصراع

الانكلو اميركي ان تستغل المناسبة وتغتنم الفرصة ، تلك الفرصة التي ابتدعتها بايديها فاوفدت الى « عمان » عاصمة المملكة الاردنية الوصي على عرش العراق الامير عبد الاله ابن عم الوصي انئذ على مقدرات التاج الاردني بصحبه الناظر الاكبر للمدرسة الاستعمارية البريطانيـــة في الشرق العربي السيد نوري السعيد رئيس مجلس وزراء العراق والسيد جميل المدفعي رئيس مجلس الاعيان العراقي وقد اسفرت المباحثات في ذاك الوقت عن اقتناع الامير نايف هذا الفتى المستجد في التمرس بمهام المسؤوليات السياسية عن توحيد العراق والاردن وتطبيق ملاحق معاهدة موقعة سابقاً بين البلدين لصالح هذه الفكرة . وكان ثمن موافقة الامير نايف على هذا المشروع ان طلالا الوريث الشرعي لذاك التاج كما اسلفنا سيظل قيد الطبابة في سويسرا او غيرها من البلدان الى ما لا نهاية وان اخاه الامير نايف سيتربع الى ما لا نهاية ايضاً على سدة الوصاية

اسندت وصاية العرش الاردني الى الامير نايف

التحقيق فكرة دمج التاجين الاردني العراقي

وفيما كانت الامور تنمو وتتجه على هذا النحو اذا بالصراع الانكلو اميركي يدعم طبقاً لما مر ذكره بالضغط الصهيوني ، وهو في ذلك شأنه في كل مرة يستعر فيها لهيب الصراع المبطن ، فيشفى الوريث طلال فجأة ، ويؤتى به بالمظهر الذي يليق بمرشح لتسنم

مقدرات عرش وتنتهي بهذا، مهمة الوصاية وتتبخر معها فكرة دمج التاجين العراقي والاردني وينادى بطلال حسب المراسيم والبروتوكولات الشكلية على الاردن .

ثم يبعد اثر ذلك الامير نايف عن بلده بعد ان اقنع شقيقه الملك الجديد ان وجوده في المملكة يشكل خطراً على تاج الاخ .

هي ومضات بالنسبة لـلزمن تمر وينقلب كل شيء رأساً على عقب اذ ينفرد الملك طلال وهو من ذوي الشخصية الحريصة على استقلالها عن توجيهات المعلم الاستعماري فيحاول ان يلعب لعبة رؤي فيها على ما يظهر انها تمس مساساً مباشراً بالمبدأ الذي وضعته الدول الكبرى للحفاظ على توازن النفوذ فيما بينها عن طريق الدفاع عن الكيانات والتقسيمات المفروضة على المجموعة العربية .

تقرب طلال من السعودية وسوريا

هو الذي عجل الازمة

واما الاثم الكبير الذي اقترفه الملك طلال فهو تقربه من البيت السعودي في الجزيرة العربية ومن نظام الحكم القائم في سوريا ورفضه لجميع المشروعات التي عرضت عليه لحل المملكة الاردنية على ان تكون السباقة في عقد صلح منفرد مع اسرائيل الانف الذكر . ويكر الضغط الاستعماري المثلث مرة جديدة ، فاذا بالملك المنكود الحظ والسيء الطالع « طلال ذاك » يفرض عليه

المرض فجأة فيرغم على الرحيل عن دياره وعلى التخلي عن عرشه بحجة استهداف الاستشفاء في اوروبا وكان ذلك في اوائل شهر ايار من عام ١٩٥٢ .

كيف اثيرت المأساة الاردنية

وما من شك في ان هذه الرقصة المفضوحة قوبلت بكثير من الدهشة والاستنكار من الرأي العام في العالم العربي فلم يكن من مندوحة عن اصطناع تغطية لهذه الحركة التي اقل ما يمكن ان يطلق عليها وتحل من الاوصاف انها مؤامرة .

وفي الواقع فقد اهتدى الذين يحيكون الحوادث ويدبرون الامور من وراء الستر الى تبرير لها فاجتمع مجلس الامة الاردني بشقيه النواب والشيوخ واستمع الى بيانات رئيس الحكومة السيد توفيق ابو الهدى المستوفاة جميع البينات الثبوتية من الناحيتين الفنية والشكلية المؤيدة لاصابة الملك طلال بمرض عقلي والطالبة في النهاية الحكم بعدم صلاحه للتمرس بتبعات الملك

وفي الواقع لم يكن من البرلمان الاردني الا ان وافق على مطالب رئيس الحكومة السيد «ابو الهدى» واتخذ قراراً اسند فيه مهمة نيابة الملك الى رئيس مجلس النواب السيد ابراهيم هاشم يعاونه عضوان من اركان مجلس الاعيان وبهذا تخلق قضية عربية جديدة وتفتح صفحة اخرى في تاريخ التطاحن الانكلو اميركي الملقح « بالمورفين » اليهودي على مسرح السياسة العربية . ولا يسعنا ان

نتكهن هنا عن لون المفاجأة اللزامية المترتبة على قيام مثل هذه الحركة .

نحن الان بين يدي الخاتمة لهذه الرسالة العابرة التي اردناها لوحة خاطفة تنعكس على شاشتها قوى التنافس الاستعماري في الشرق الاوسط نظراً لمختلف انواع الاهمية والخصائص الممتازة التي تتمتع بها هذه البقعة وتحتل بفضلها مركزها المتفوق هذا .

نحن بين يدي هذه الرقصة ولا بد لنا من الطواف ايضاً حول بعض القضايا التي تسمى بمضلات الشرق الاوسط اذ ان هذه الرقصة التي هي اصطلاح سياسي حديث نتج عن المسميات العسكرية البريطانية في الحرب الاخيرة اكثر مما هي حقيقة جغرافية ، ذلك ان الشرق الاوسط يشتمل ايضاً بالاضافة الى كيان الشرق الاوسط يشتمل ايضاً بالاضافة الى كيان الشرق الادنى الجغرافي المعروف، على ايران والافغان والهند وباكستان .

تقلص النفوذ البريطاني في ايران

هو اكبر حدث من نوعه في الشرق الاوسط

لقد تمخضت الظروف الدولية وملابساتها واساليب تصارعها عن قضية في ايران بدأت سياسية صرفة ثم ما لبثت ان اكتسبت الصبغة الشعبية الحاسمة ذات الاثر الرئيسي في توجيه الحوادث وتقرير المصائر وهذه القضية كما يعرف ذلك ، القاضي والداني في الشرق والغرب انتهت باخراج الاستعمار البترولي البريطاني من ايران الجنوبية وفي

تأميم شركة نفط ايران التي اطلق عليها بنتائج هذا الظفر الشعبي فيما بعد اسم شركة النفط الايرانية الوطنية .

هل تزهادت انكلترا وروسيا

للوقوف في وجه النشاط الاميركي

ولئن دل هذا الحدث الضخم الذي لم يعرف الشرق الاوسط نظيره منذ ان التفت حول عنقه اطراف اخطبوط شركات النفط الاجنبية ، لئن جاء هذا الحدث الجسيم الجبار بدليل فانما يشير بعمق الى مدى الخلاف واتساعه بين الاستعمارين الانكلو سكسونيين كما انه يشير من جهة اخرى الى ان هذا التطاحن بين الدولتين ذات المنحدر الواحد قد يفضي الى هدنة بريطانية روسية للوقوف بوجه مطامع الاستعمار البترولي الاميركي . وقد يكون في الانسحاب البريطاني من عادان وهي حقول النفط لمنطقة جنوبي « ايران » على هذا الشكل دون ان يعقب بالذيول التي كان يتوقعها لهذا الاحتكاك الرأي العام الدولي اولى التمهيدات العملية المبطنة لمحاولة ايجاد جبهة بريطانية روسية للتخفيف من غلواء الجشع الاميركي . اذ ان المطلع على روح السياسة البريطانية يقول ولا شك قولنا في ان بريطانيا يمكن ان تتسامح بكل شيء ولكنها لن تتسامح في ان تطرد من ايران حيث تقيم منذ عام ١٩٠٢ نتيجة للزحم الاميركي وضغطه السافر .

انكلترا شجعت مؤتمر كراتشي
لتأسيس كتلة من الدول الاسلامية
تماشي السياسة البريطانية ضد اميركا

ثم من مظاهر هذا الصراع بين الدولتين المذكورتين فقد طلعت باكستان منذ عام ١٩٤٩ بفكرة جديدة تدعو فيها الى تأسيس كتلة من الدول الاسلامية توحد مابين سياستها في الحقول الخارجية والعسكرية والاقتصادية وقد ارتدت هذه الدعوة لباسها الرسمي في اواخر شهر شباط من عام ١٩٥٢ وذلك بان تولت وزارة الخارجية الباكستانية نتيجة للمؤتمرات الاسلامية التي عقدت في «كراتشي» سابقا دعوة وزراء خارجية الدول الاسلامية الى مؤتمر يعقد في مدينة كراتشي المذكورة الذي كان المزمع افتتاحه في الثاني عشر من شهر نيسان من نفس العام. الا ان النظر قد صرف عنه لاسباب تتعلق بالاعتبارات الناتجة عن الصراع الدولي نفسه.

اميركا تضغط على مصر وتركيا
لمحاربة قيام الكتلة الاسلامية

وهنالك تعاليل متباينة لفشل هذه الفكرة او لخنق هذا المشروع وهو ما زال في حالة التكوين، منها ان مصر وغيرها من دول الجامعة العربية رأت انه في حال قيام كتلة اسلامية بزعامة الباكستان سوف ينتقل مركز الثقل في سياسة الشرق الاوسط من

القاهرة الى كراتشي وسوف تمسي الدول العربية ذات وزن ثانوي بالنسبة للنفوذ الدولي في هذه المنطقة، وليس بوسعنا ان نرد في مثل هذه العجالة عن كل ما سبق من تأويلات واقاويل في سرد هـــذا الموضوع . على ان الاغلبية من ذوي الرأي الناضج ومن المراقبين السياسين في الحقل الدولي يذهبون الى ان مشروع التحالف بين الدول الاسلامية فكرة لا تخلو من اثر كبير واضح للتوجيهات البريطانية يهدف الغرض منها الى امرين : اولاً ، الاستعانة بنفوذ الباكستان كدولة اسلامية كبرى والجزء من مجموعة الشعوب البريطانية لانجاح مشروعات الدفاع المشترك على نطاق اوسع مما جاء بادىء بدء على ايدي الدول الاربع : اميركا فرنسا ــ بريطانيا ــ تركيا ــ ثم افساح المجال «لباكستان» في تزعم هذه الكتلة العسكرية الضخمة وثانيا تحويل الجامعة العربية الى هيئة «ميتة» بعد ان اخذ النفوذ الاميركي يمتد اليها من مختلف المسالك ويمهد لنفسه سبل السيطرة على مقدراتها والتحكم في توجيهها كاداة سياسية ذات وجود ادبي ومادي في اقليم الشرق الاوسط .

هذا البعض من التفسيرات التي يطلقها العاملون في السياسة الدولية لمشروع انشاء كتلة اسلامية بقيادة الباكستان نضعها تحت ابصار القارىء لنترك له الحرية كل الحرية في تكوين الفكرة التي يرشدها اليه منطقه .

الاهداف البعيدة لرسالتنا

اردنا من هذه الرسالة القائمة في كل فصل من فصولها على اساس

الاستقراء العلمي الدقيق في البحث والمؤيـــدة في كل باب من الموضوعات التي عرضت اليها بالوقائع الملموسة وفي اعتماد المنطق التحليلي في الجزئي والشامل الكلي مما تناولته من دراسات ، ان نبسط على النحو الجلي ، الامكانيات الواسعة الغزيرة التي حبتهـــا الطبيعة وتضافر الظروف العملية للعالم العربي خاصة ، والبقعة المعروفة حديثاً بالشرق الاوسط عامة .

لقد هدفنا من وراء هذه الرسالة الى تبيان الامكانيات الممتازة التي كفلت للعـــالم العربي من استراتجية وبترولية وسياسية واقتصادية نتيجة الوضعه المتفوق من الوجوه كافة .

وما من مجال ، الى ريبة واشتباه في ان الكاتب السياسي البريطاني المدقق الاستاذ « اولاف كارو » قد احسن واجاد في مؤلفه الذي صدر عام ١٩٥١ وتهمم في كل مكتبة من مكاتب عواصم الامم الحية الراقية حينما صدر منه العالم العربي « بمنابع القوة » وهو التجديد الذي بنى القوة في مصدرها ومؤاتها نسبة للعصر الحالي على اساس الثروة البترولية . اذا قال ايجازاً لنظريته في هذا الكتاب ان الشرق كحقول نفط عذراء ما زالت الى الان تحافظ على احتياطها من هذا المعدن وتشكل ما اسميه سالفاً « بمنابع القوة » .

وصاحب هذا المؤلف الجديد ليس هو بالاول والثاني والثالث بل ولا العاشر الذي يعترف مستنداً في رأيه الى الحقيقة العالمية بهذا المركز المتفوق للعالم العربي اذ قد سبقه وتبعه في الاقرار بهذه الحقيقة الصارخة المدوية كبار الخبراء والاخصائيين من

عسكريين وساسة الذين يهيمنون على ارفع مناصب المسؤولية العلمية في اميركا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي وغيرها من عواصم الدول الغربية والشرقية التي تنطوي اراؤها على وزن حساس في تسيير الدفة العامة لسياسة بلدانهم ولقد تولى الاميرال « فكتلر » قائد عام البحرية الاميركية مؤخراً بجرأة العسكري الكشف بوضوح عن اهمية العالم العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية ناصحاً حكومته بضرورة تحويل هذه البقعة من منطقة الشرق الاوسط الى مركز الجذب والثقل في سياستها .

يجب ان يستفيد العرب من موقعهم الجغرافي

نضح مما تقدم ان للعرب في وضعهم الحالي ثروات يحسدون عليها من اية رقعة جغرافية اخرى في العالم كما ثبت لدينا ايضاً من مختلف فصول هذا البحث ان كسب ود وصداقة المجموعة العربية هو موضع تنافس فعلي عنيف يبلغ في بعض ظاهراته حالة الشدة الجهورة بين الدول الكبرى وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة ، وان مركزها الممتاز الذى تتمتع به هو من الاهمية العملية بحيث يتوقف على الظافر بولائها ليس النسبة الاولى في حظه من ربح الحرب بل ايضاً امكاناته العملية في التفكير بالتعرض لاثارة حرب جديدة .

ان مثل هذه المجموعة من الكيانات السياسيـــة في الشرق الاوسط ، لها هذا القدر من الاهمية والدور الفعال ان مثلها لهو احق من اية كتلة اخرى في الافادة من تفوقه وفي الانتفاع من ثروائه والتوافر على [illegible] لاها : فرصة نادرة لتوطيد

حركته التحررية وفرض حقه في الوجود الاستقلالي التام على اي من اعتبارات السيطرة الدولية ذات الطابع الاستعماري

واجبات المسؤولين العرب

ان على المتربعين في مقاعد الحكم وعلى المتولين فعلياً مقدرات العرب من حكام وساسة ان يتخلوا ولو الى حد معين عن دوافع الذاتية المريضة في شخصيتهم وان ينبروا بشيء من الشجاعة الى تحويل كل خاصة من خصائص اوضاع بلادهم الى ما يدعم نحو الشعور التقدمي والوعي الاصلاحي في نفسية شعوبها . كما ان الصرخات الحية في الوجدان تفرض عليهم ان يمدوا ساعد العون الى هذه الجماهير الحية النامية لانقاذها من السيطرة الاجنبية الامبريالية ،الاقتصادي الاحتكاري منها ، قبل السياسي العسكري

وختاماً نتوجه بكلمة النهاية في هذه الرسالة الى القيمين على مقدرات الحكم وانظمته في اي من عواصم العرب مؤكدين ان رفعة الوعي في المجموعة الشعبية لبلدانهـــم اصبحت من النضج والحيوية وقابليات الانعتاق بحيث لن تسلم بسهولة في التخلي عن ثرواتها وخاصة الملايين التي تتدفق يوميـــا على صناديق البيوتات الحاكمة فيها من ينابيع البترول ولن تخدع فيما بعد باي طلاء تمويهي لسبل انفاق هذه الكنوز الا اذا اهتدى المسؤولون واخذوا في تكريسها لدعم حقائق السيادة من وجودها السياسي وبالتالي لمساعدتها على تحقيق كامل حريتها ورفع مستواها المعاشي والثقافي والاجتماعي الشامل وبلورتها نهضة اصلاحية صحيحة .